تاريخ الشعر العربي المعاصر

١

الشعر والشعراء

في

السودان

١٩٠٠ - ١٩٥٨

دراسة ومختارات

بقلم
أحمد ابو سعد

دار المعارف ببيروت

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بيروت سنة ١٩٥٩

تقديم

أكثرنا إنْ لم نقل كلنا في البلدان العربيّة يكاد يجهل كلّ شيء تقريباً عن السودان ، ولا يُلِمّ حتى بجغرافيّته [1] .

ربّما كان لهذا الجهل ما يبرّره، فالأوضاع السيّئة التي تردّى فيها هذا القطر، منذ احتلال كتشنر له عام ١٨٩٨ حتى نيله الاستقلال عام ١٩٥٦، عزلته عن العالم الخارجيّ فترةً من تاريخه ، امتدّت طوال الرّبع الأوّل من القرن العشرين ، كان فيها الاستعمار يدمّر ، ويبيد ، ويقتل النّاس بالجملة ، مستهدفاً إبقاء الشعب في حالة البدائيّة ، والتأخر ، والإملاق الفكريّ . ثمّ تلت هذه الفترةَ فترةٌ أخرى ، انقسم فيها العالم العربيّ ، بعد الحرب العالميّة الأولى الى أقطار عديدة ، خلقها المستعمر ، وأقام الحواجز بَيْنها ، محاولاً عزل كُلّ قطر عن القطر الآخر ، للقضاء على وحدة العالم العربيّ ، وتفكيكه إلى أقاليم يشعر أهلها بأنّ إقليمهم هو وطنهم الوحيد الذي يجب أن يعتزّوا به ، وأن سكان البلدان العربيّة الأخرى بعيدون عنهم ، لا ضرورة للاهتمام بهم ... ممّا سبب انصراف أهل كلّ قطر إلى معالجة شؤونهم المحليّة، وأدّى الى اشتغال المخلصين منهم بتضميد جراحهم ، ومقاومة الاحتلال عن الاطّلاع على شؤون البلدان العربيّة الأخرى ، ومراقبة حركة نموّها مراقبة الباحث المستطلع الذي يعنيه أمر كلّ قطر عربيّ مثلما يعنيه أمر قطره المحليّ نفسه . فتمّ بذلك التقاطعُ بين بلدان

---

١ – تبلغ مساحة السودان مليونين ونصف مليون من الكيلومترات المربعة ، أي ما يزيد إحدى عشرة مرة عن مساحة بريطانية مثلًا . وأما عدد السكان فيقدر بأكثر من ثمانية ملايين نسمة .

العرب ، وساعدَ عليه بالنّسبة الى السودان عدم توافر أسباب الاتّصال بينه وبين الأقطار الأخرى . فلا مطبعة تطبع ، ولا مجلّة تصدر ، ولا أدب يقوى على اجتياز الحدود .

أمّا وقد استقلّ السودان أخيراً ، وتفتّحت حياته عن مظاهر كثيرة من النّهوض والوعي ، وخرج العرب من عزلتهم المحليّة الضيّقة إلى آفاق قوميّة أشمل وأرحب ، فتحوا فيها النوافذ على العالم ، وسلكوا سبيل التحرر والوحدة، أمّا وقد بات الأمر كذلك وبدأت تصلنا من جمهورية السُّودان الفتيّة وغيرها من بلدان العروبة « روائع من الشعر حارّة دافقة وحنون ... تحمل قِيَم الحياة وتبشّر بالمستقبل ، وتحتضن كفاحهم وكفاحنا من أجل حياة تستحق أن تُعاش » فإنّ خير عمل قوميّ يؤديه الكتّاب العرب، تجاوباً منهم مع الحركة التّطورية الجديدة ، هو القيام بتعريف النّتاج الادبيّ للأقاليم العربيّة عامّة والمجهولة منها بخاصة ، والسعي الى درس هذا النّتاج ، ونشره ، وجعله في متناول كافة قراء العربيّة للافادة من تجارب الشعراء الذين تقدم عندهم الوعي الشعري وقارب الاكتمال والنضج ، وفتح الأعين على نواقص وعيوب الأعمال الأخرى ليتفاداها شعراء المستقبل ويعملوا على تطوير نتاجهم وإغنائه بكل عناصر التفتح والحياة .

ونحن إسهاماً منّا بمثل هذه الحركة نقدّم اليوم « مختارات من الشعر السودانيّ » خلال القرن العشرين ، على أن يليها تباعاً مختارات من شعر كلّ قطر آخر لعلّها أن تعاون معاونة حقّة على التبادل الأدبي والتوجيه التجديدي بين البلدان العربيّة، وتؤلّف من ثمّ مرجعاً كبيراً للدّارسين من عرب ومستشرقين بما تضع تحت أنظارهم من آثار هي حصيلة أكثر من نصف قرن من الشّعر العربيّ النّاهض، فضلاً عن كونها نماذج للحسّ المرهف والذّوق الأدبيّ الممتع .

أول شباط (فبراير) ١٩٥٩ — **احمد ابو سعد**

الشّعر العربي المعاصر في السودان

يقع تاريخ الشعر العربي المعاصر في السودان في ثلاثة اتجاهات رئيسية يمكن تصنيفها على الوجه التالي :

١ — الاتجاه التقليدي .
٢ — الاتجاه الرومنطيقي .
٣ — الاتجاه الواقعي الحديث .

ثلاثة اتجاهات يمثل كل اتجاه منها أسلوباً في التفكير أو التعبير يناقض أسلوب الآخر أو يبدو كردّ الفعل له . والاتجاهات الثلاثة ما تبرح تعيش في السودان أو تتعايش حتى اليوم ، وإن كان كلّ اتجاه منها قد بدأ بعد الذي سبقه .

الاتجاه التقليدي

بدأ هذا الاتجاه في عصريّ الأتراك والمهدية (١٨٢١ — ١٨٩٨) . ولكنه لم يقف عند هذين العصرين ، بل مضى في سبيل تطوّره حتى عصرنا هذا ، مارّاً بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى

مرحلة ما قبل عام ١٨٩٨ ، وكان فيها السودان لا يملك شيئاً من أسباب النهوض . فالمجتمع قبَلي بدوي ، والاقتصاد رعويّ بدائي ، والتعليم خلوي ديني [١] ، والشعراء فريقان :

فريق يعيش لصق الواقع ، وترتبط حياته الذهنية بحياته العملية ، فيعبر عن شعوره تعبيراً يتميز بالعفوية ، والصدق ، والواقعية الضاربة جذورها في تفاصيل الحياة اليومية ، ولكن بلهجة محليّة دارجة ، أي بلغة الشعب المحكيّة . وهذا الفريق هو

١ — خلوي : نسبة الى خلوة وهي أشبة بالكتّاب عندنا .

الذي يمثل السودان الحقيقي بشعره الشعبي الرائع، ولكن شعره خارج عن موضوع هذا الكتاب ، لأنه يهتم بشعراء الفصحى فقط [1] .

وفريق آخر يعيش بعيداً عن الواقع ، متفرّغاً من العمل اليدوي ليمارس العمل الذهني كنشاط مستقل يتخذ فيه الأدب حرفة، ويعبّر عن شعوره بالفصحى لغة أفراد الطبقة المتعلمة . وهؤلاء هم فئة الذين تخرجوا في الأزهر، ومعاهد الحجاز الدينية ، فانفصلوا عن المصدر الجماعي القاعدي ، وعاشوا في بطون الكتب ، يستمدّون أدبهم ممن سبقهم، فخمّسوا وشطّروا ، وأرّخوا المواليد والوفيّات ، وعارضوا القصائد ، وأكثروا من المحسنات وأساليب التلاعب اللفظيّ ، وأقحموا في شعرهم العلوم ، والمصطلحات الفقهيّة، مترسّمين في ذلك كله خطى الشعر التركيّ المملوكي حيناً ، والتركي العثماني حيناً آخر ، ترسّماً بليداً منعزلاً عن الاهالي وعن حياتهم ، أللّهم إلا في بضع قصائد تغنّوا فيها بالبطولات الحربية مجـاراة للشعر البطولي الشعبي . وأبرز هؤلاء الشعراء في هذه المرحلة : حسين الزهراء (١٨٣٣ ـ ١٨٩٥) ، وعبدالله أبو المعالي ، ومحمد أحمد هاشم (١٨٢٥ – ١٩١٠) ، وعمر الأزهري المتوفى سنة ١٩١٤ م ، ومحمـد عمر البنّا (١٨٤٨ ـ ١٩١٩) وعبد الغني السلاّوي (ولد سنة ١٨٨٣) ، ومحمد طاهر المجذوب (١٨٤٢ ـ ١٩٢٩) ، والمضوي عبد الرحمن (ولد سنة ١٨٥٧) .

المرحلة الثانية

مرحلة ما بعد سنة ١٨٩٨ م. وتبدأ بدخول الانكليز الى البلاد ، وتمتد حتى سنة ١٩٢٤ . دخل الانكليز السودان باسم مصر ، ولكنهم استبدوا به دونها ، وفرضوا حكمهم بالحديد والنار ، فعزلوا السودان عن جارته ، وفرّقوا بين اهله جنوباً وشمالاً ، ووجّهوا ثقافته واقتصاده الوجهـة التي تحقق مصالحهم ، وتثبت حكمهم. ثم استغلّوا تمسّك السودانيين بالدين، وتعدد الطرق الصوفية، فضخّموا من شأن المشايخ واصطنعوهم ليخضعوا الشعب عن طريقهم ، وأوقعوا بينهم .

---

١ ـ نذكر من شعراء الشعر الشعبي الشاعرة « أم مسيمس » والشاعرة « بنت المكاوي » والشاعر « الحردنلو » أبو سن .

وتفرّق شمل المجتمع بعد أن كاد يلتئم في عهد المهديّة ... وبذلك تمّ للانكليز ما أرادوا ، فبقيت الأوضاع على ما كانت عليه في السابق، يحميها الاستعمار ويحالفها. وتأخّر نموّ المجتمع فظلّ قبليّاً بدويّاً يسوده الضّعف والتخاذل ، وتخيّم على أهله الجهـالة ...

لكنّ حاجة الانكليز الى إعـداد شباب يصلحون للخدمة المدنيّة وتسيير الدّولاب الحكومي، حملتهم على إنشاء كليّة غردون بالخرطوم . واستخدموا للتّدريس فيها اساتذة قدموا من مصر ولبنان ، بلغ عددهم قرابة خمسين استاذاً . وكان من بينهم الشاعران اللبنانيان فؤاد الخطيب وعبدالرحيم قليلات. فقامهؤلاء بنشاط علميّ واجتماعيّ متأثرٍ بتعاليم الإمام محمد عبده في الأصلاح الدينيّ، وبالتراث العربيّ القديم في الميدان الادبي . ووضعوا أسساً صالحة للتعليم فانتشرت الثقافة العربية بين طلاب الكليّة . وخرج منها شعراء تأثروا بهذه الثقافة فارتقى الشّعر على أيديهم. وبعد أن كان تركيّاً مملوكيّاً او عثمانيّاً خلال القرن التاسع عشر، أصبح في الربع الاول من القرن العشرين يتطلع الى النماذج الجـاهلية ، والأموية ، والعباسية ، وشعر المولّدين ، يترسّم طريقة شعرائها في التعبير، وبنـاء القصيدة وتناول الاغراض الشعرية . فوقف الشعراء على الأطلال ، وحدّوا الناقـة ، وأكثروا من الفخر ، واستهلّوا قصائدهم بالغزل . وبالغوا في خلع الأوصاف الكثيرة على الممدوح او المرثيّ ، ولم يتخلصوا تمامـاً من التخميس والتشطير ومعارضة القصائد . وكان شعرهم في الغالب شعر مناسبات ، يتغلب فيه الشكل على المحتوى ، ويلهو بالتقليد والمحـاكاة عن التلفت الى المجتمع ، أو الصدور عن تجربة في الحياة .

أبرز شعراء التقليد في هذه المرحلة : محمد سعيد العباسي (ولد عام ١٨٨١م)، وعبدالله عبد الرحمن (١٨٩٢ م)، وعبدالله البنا (١٨٩١م)، وأحمد محمد صالح، والطيب السراجي (١٨٩١ م) ، وبابكر بدري (١٨٦٤) ، ومحمد الامين (١٨٨٢) ، ومدثر البوشي (١٩٠٣ م)، وتوفيق احمد (١٩٠٤)، ومحمود أنيس (١٨٩١)، وحسيب علي حسيب (١٨٩٧)، وصالح عبد القادر وعبد الرحمن شوقي (١٨٩٦ م) ومعظمهم من رجال الدين .

المرحلة الثالثة

مرحلة ما بعد سنة ١٩٢٤ حتى يومنا هذا . ويرى بعض الباحثين أن هذه السنة ، أي سنة ١٩٢٤ ، كانت نقطة تحوّل في تاريخ السودان الادبيّ والقوميّ والاجتماعي . فبعد أن وثب فيها الجيش السوداني وثبته الكبرى على رؤسائه البريطانيين حين ثار عليهم ، ثم لم تسفر ثورته عن غير الفشل بسبب ضعف الشعب ومدى تسلّط الاستعمار ، أقول بعد هذه الثورة ارتدّ المتعلمون على أنفسهم . وكان قد تزايد عددهم بفضل كليّة غردون والمعهد العلمي ، والبعثات التي رحلت الى جامعة بيروت الاميركية [1] . فأعاد هؤلاء النظر في أوضاعهم . وتساءلوا عن سرّ هزيمتهم المنكرة أمام العدوّ. ألم يكن ذلك كافياً في تفوّق الاجنبي عليهم لا في قوّته العسكرية الطاغية فقط ، وإنما في تفوّقه العلمي والاقتصادي إزاء شعب تأخر وعيه القومي والاجتماعي ، وجمدت ثقافته على المحاكاة ، والتقليد ؟ وإذن فلكي ينجحوا في مقاومة الاستعمار ، عليهم ان يخلصوا الشعب من هذه الجهالة فيعلّموه ويثقفوه قبل القيام بمحاولات متسرعة مبتورة ، ويعملوا على تقوية وعيه القومي فينبهوه إلى كينونته الذاتية حتى يدركها ويعتزّ بها ، ويتّحد بجميع عناصره وقبائله في سبيل إعلاء شأنها وتعزيز حقوقها [2] .

من هنا كانت انطلاقة الجيل الذي تمخضت عنه الثورة . فهؤلاء بعد أن رأوا حاجتهم الملحة الى زيادة معلوماتهم ، كانت أول خطوة خطوها إقبالهم على قراءة جلّ ما تخرجه المطابع المصرية من كتب ومجلات (مجلة أبولّلو ، مجلة الرسالة) . وسهلت طرق المواصلات ووسائل نقل الأخبار والمعلومات اتصال السودان بغيره من البلدان . فاتصل السودانيون بالعالم العربي من خلال الصحف والمؤلفات ، ومن خلال الرحلات والأسفار ، وقرأوا الأدب المهجري ، وانفتحوا على الثقافات الأجنبية بواسطة اللغة الانكليزية التي ذاعت في ربوعهم . ثم وصلت المطبعة التجارية ، وأسست مجلتا النهضة (١٩٣١) والفجر (١٩٣٤) اللتان حملتا أكبر

---

١ – كانت أول بعثة رجعت من بيروت الى السودان عام ١٩٢٨ .

٢ – الدكتور محمد النويهي : « الاتجاهات الشعرية في السودان » .

نصيب من الثقافة الجديدة . وقام (مؤتمر الخريجين العام) الذي أسهم في التعليم الأهلي أكبر إسهام ، وكان له شُعَب مختلفة داخلية تعنى بشتى نواحي النشاط الاجتماعي والثقافي والصحي، فانتشرت بذلك موجة من الوعي القومي (السودان للسودانيين)، وقامت الدعوات إلى الإصلاح الديني والاجتماعي (نقد الخطب المنبرية في المساجد ، محاربة مشايخ الطرق واستغلال سذاجتهم للجماهير ، توجيه الناس الى الاهتمام بالدنيا وعمرانها كاهتمامهم بالدار الآخرة ، إصلاح الأُسرة وتحرير المرأة واعتبارها مساوية للرجل ، الكفّ عن العادات التي تتناول بعض أعضاء جسم المرأَة بالفَصد والقطع والتشويه، ومن ذلك الوشم والختان والتشليخ، الوقوف في وجه سائر الخرافات والتقاليد الرجعية) . وكان ذلك كله إيذاناً بقيام نهضة أدبية سار بها الشعر في اتجاهين متباعدين . كان كل منهما رد فعل للآخر :

أما في الاتجاه الأول فقد ثار المجددون على القديم ، ودعوا الى سودنة الأدب، وتطبيق المقاييس الغربيّة على النتاج الشعريّ بجعل التعبير عن التجربة الغرض الأول والأخير للشاعر ، والاهتمام بالمعنى قبل المبنى ، والتخلص من تزمت العبارة ورسميّة القوالب والصيغ، واعتبار القصيدة قطعة فنيّة كاملة تنبثق صورها من أصل واحد ، وتخرج أوصافها من تجربة واحدة . وحديث هذا الاتجاه مبيَّن في الفصل الذي يلي .

وأما في الاتجاه الثاني فقد سار التقليد حتى بلغ مرحلته النهائية على يد الشيخ عبدالله البنّا ، والشيخ محمد سعيد العباسيّ ، وأحمد محمد صالح ، والشيخ عبدالله عبد الرحمن .

تأثر هؤلاء بالحركة الجديدة . فلم يعد الشّعر عندهم محض تقليد للماضي . بل تخلص من بعض عيوب القديم ، وأنكر أصحابه البدء بالغزل ،والوقوف على الأطلال . وتغنّوا بالطبيعة السودانية ، وسجلوا حركات الاصلاح في البلاد كتأسيس المدارس ومشروع القرش . وتحدّثوا عن الاماني القومية المعقودة على مؤتمر الخرّيجين ، متجاوبين في ذلك مع أحداث زمانهم وآلام شعبهم وآماله في التخلص من الاستعمار والارتقاء في مدارج التمدن والثقافة والعمران . ولكن

في صياغة تقريرية جامدة لا تنبع من تجربة أو توحي بصورة جديدة مبتكرة ، بل تجيء مسلوبة الشخصية « يضاف الى كل رطل من حقيقتها عشرون رطلًا من حقيقة الشاعر القديم [١] » فضاعت هذه الجِدّة في المحتوى بهذا التقليد في الشكل ، وظلت القصيدة يغلب عليها الوزن الواحد ، والقافية الواحدة ، والبيت المستقلّ ، والتشابيه البائخة ، والنُّكات البلاغية ، والصور المستعارة من أساليب القدماء حتى في وصف الطبيعة في السودان .

هذه هي صورة الشّعر السوداني التقليدي في مراحل تطوّره الثلاث . وهي لا تختلف في مرحلتها الأولى عن صورة الشعر العربي عامّة في عصور الانحطاط . بل تبدو كنتيجة طبيعية لانعدام الثقافة وتفشّي الأميّة . وممارسة الشاعر للأدب كنشاط مستقل لا يغرف من حياة الجماعة أو يراعي أسلوبها في التفكير أو التعبير .

أما في المرحلة الثانية فهي صورة للشعر العربي في عصر البعث والإحياء . تتمثل في اتجاه الناس الى الماضي ، ونبش آثار القُدامى من جاهليين وأمويين وعبّاسيين ومحاكاتهم في أساليب النظم والمفاخرة ، والأكثار من الشكوى ، وإرسال الحكم بمعانيها القديمة .

ويرى بعضهم أن التزام هذه الطريقة البدوية في الشعر السوداني لا يعيب هذا الشعر في شيء ، بل هو تعبير عن بيئة وتأثر بواقع . فالشاعر الجاهلي عندما يصوّر بيئته لا يصوّر بيئة تامة الاختلاف عن بيئة الشاعر السوداني المعاصر — كما يقول الدكتور النويهي — بل هو على العكس يصور بيئة قريبة الشبه بالبيئة السودانية « والسودان باستثناء جنوبه الاستوائي ، من حيث هيئته الطبغرافية وأحواله الجغرافية يقترب في عناصر كثيرة من شبه جزيرة العرب . الصحارى الفسيحة ، والسهول المبسوطة ، وما فيها من وهاد ونجاد ، وما يتخللها من أودية وعيون وآبار وسيول وغدران ، ومُناخها وتقلبات جوّها ، وتراوح فصول الجفاف والامطار عليها وكثير من نباتها وحيوانها ، وبالتالي حياة الرعي والتّرحال التي يحياها السكان ، وقيام نظام حياتهم على القبائل ، والاعتزاز بالأنساب ، والكثير

١ — محمد عبد الرحيم : راجع « نفثات اليراع » .

من عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، كل هذا يجعل إغراءهم بتقليد الأدب المأثور شديداً من الصعب مقاومته [1] » ثمّ أليس السودانيون أحفاد أولئك العرب ؟ هكذا يقول الناقد السوداني المجدد حمزة الملك طنبل . ويروي الدكتور عبدالمجيد عابدين « أن في السودان قبائل عربية ما تزال تعيش في بواديه على عاداتها وأساليب حياتها التي كانت عليها في جاهليتها دون تغيير أساسي » ، مما طبع الشعر السوداني بطابع التقليد للشعر العربي .

ولا يفهمنّ أحد من ذلك أن هؤلاء النقاد ينكرون العناصر الزنجية والحامية والمصرية القديمة التي يتألف منها الشعب السوداني . ولكنهم يرون أن العنصر العربي هو الذي تغلب على عناصر التكوين الأخرى بسبب الدين الذي كان منبعاً للأدب في بدايته وتلك العرى المادية والروحية والثقافية التي ظلت تربط السودانيين بالعرب وتحملهم على التشبث بتراثهم القومي العربي الاسلامي تشبثاً زاده كره الاجنبي ومناداة المجددين بأدب قومي سوداني اعتقد المحافظون انه لن يؤدي إلا الى تشتيت شعوب النيل ، وتفتيت الوحدة العربية ، وقتل اللغة الفصحى ، وعزل السودان عن سائر الشعوب العربية ليتمّ للمستعمر حكمه واذلاله والقضاء عليه ..

فوقف الشعراء المقلدون هذا الموقف السلبي العدائي من الثقافة الغربية ومن دعاتها المجددين الذين أشربوا حبّ الأعاجم .. وظلّ شعرهم في المرحلة الأخيرة منطبعاً بالطابع البدوي المحافظ الذي لا تختلف صورته عن صورة شعر شوقي وحافظ والرّصافي وغيرهم من شعراء التقليد في البلدان العربية .

ولكن هذا الموقف المتشدد في المحافظة على الثقافة العربية ، وحبس الناس فيها دون غيرها ، والوقوف عند تجارب الاقدمين ، واعتبارها المثل الأعلى الذي ينبغي أن يحتذى ، أقول إن هذا الموقف إذا كان جائزاً في بدء تفتح النهضة وأيام الاحتلال ، بما أثار في النفوس من مشاعر أفعمت قلوب المواطنين بالأمل ، وبعثت فيهم شعور العزة والكرامة أمام جبروت الأجنبي المغتصب بما قدمت لهم من

---

١ – الدكتور محمد النويهي : الاتجاهات الشعرية ص ١٥ .

ذكرى عصور ذهبية تدفعهم الى محاولة استعادتها .. فإنه لم يعد له أي مبرر بعد أن استقلّ السودان، وأخذ يقتبس الكثير من ثمار الحضارة الغربية في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع ، بل أصبح عائقاً يحول دون الاستفادة من تجارب الشعراء المحدثين في العالم ، ويجمّد الادب في اوضاعه القديمة .

أسوق هذا الكلام وأمامي ديوان شعر صدر عام ١٩٥٧ باسم « أصداء النيل» لشاعر سوداني (الدكتور عبدالله الطيّب) درس في انكلترا « وقلّب النظر في كثير من الدواوين العربية والانكليزية ، فاستقرّ في نفسه بعد الموازنة أن الشعر العربي ليس كمثله شيء مما قرأه في الانكليزية ، حتى ولا شعر شكسبير [١] » !!

لا أعرف عن حياة هذا الشاعر الخاصة شيئاً غير ما كتبه في مقدمة ديوانه عن المغفور له والده وبني عمه وعشيرته ، ونسبه الجعلي الذي ينتهي الى العبّاس عمّ النبي ، وأمجاد قبيلته . ولكن الذي يخيّل إليّ من خلال ديوانه أنه يعاني أزمة نفسيّة تولدت عنده من كونه لا يعيش المرحلة التاريخية التي تمرّ بها بلاده ، ويقف شعره على وصفه بدر مانشستر ، وبنات اندبز ، وقطّته ، ومكتبه وجاكتته ، ويُهمل حياة الناس في بلاده ، مما جعل الناس بدورهم يهملونه ، وهو الذي هو ، تعلم في لندن ، ونوّه بابداعه الأجانب و .. و .

قد حزّ في النفس أني ليس يشكر لي ... قومي بلائي وإبداعي وإحساني
أمسى ينوّه بي من ليس في وطني ... وبات يحسدني أهلي وجيراني
ولم أَرُمْ بينهم تيهاً ومفخرة ... يأبى ليَ الفخر علمي ثمّ إيماني

ولذلك أُصيب بخيبة أمل ، فراح يهاجم شعبه ويصفهم بأنهم (بغاث واعبد وطغام أشحّة وأوشاب ونوْكى وكلاب) ، وأنهم يتآمرون عليه ويحسدونه ، وانه يتمنى لو وُلي السلطة ان يهلكهم جميعاً .

أداري لئام الناس حولي واتقي ... أذاتهمُ من مُبعَدٍ وحميم
ولو أنني أوتيت أمراً عليهم ... أبرتهمُ من ظاعن ومقيم [٢]

ألا سامح الله أخانا الدكتور ، وما هكذا يكون عبيد الله الطيّبون !

---

١ – اصداء النيل ، ص ١ .
٢ – اصداء النيل ص ١٦ .

الاتجاه الرّومنطيقي

الرُّومنطيقيّة في المصطلح الغربي ، عصر أدبيّ ذو طـــابع خاص قائم بين الكلاسيكية والواقعية . ظهرت في أوربة أوائل القرن التاسع عشر لتعبّر عن الروح نفسها التي أشعلتها نـــيران الثورة الفرنسية التماساً للتطوّر الاجتماعيّ والاقتصادي. وكانت ردّ فعل لطغيان النّزعة العقلية التي سادت القرن الثامن عشر، وانعكاساً لأفكار الطبقة البورجوازية الثائرة على الملكية والأقطاع ومعاييرهما السائدة في الأدب . ذلك أن الارستقراطية الملكية الأقطاعية لم تكن تتمتع يومئذ في فرنسة وانكلترة بالامتيازات الاجتماعية فقط ، وإنما كانت لها معاييرها التي فرضتها على الأدب والفكر أيضاً ، كإعطاء الأولوية للعقل والارادة على العاطفة والخيال ، واحترام الاسلوب « النبيل » واجتناب التعبيرات الدارجة ، والموضوعات « السوقيّة » حرصاً على حدود « الذوق السليم » ومراعاة لأوامر « الطبقة المهذبة » .

فجاءت الرومنطيقية ثورة على كل هذه المفاهيم تنادي برفع القيود التي تحول دون الفرد والفكر الحرّ والشعور الحرّ، وتعلن «حقوق القلب الانساني» وتدعو الى إعلاء شأن العاطفة ، والعودة الى الطبيعة، وتقديس البدائية والطفولة، والهيام في المطلق واللامحدود ، والبحث عن سرّ الحياة .

هذا هو المفهوم الأوربي لهذه النّزعة الرومنطيقية في الأدب . وهذه أسباب نشأتها . فهل يصحّ تطبيق هذا المفهوم النقدي الغربي على الشعر العربي المعاصر في السودان أم أن في تطبيقه شيئاً من التجوّز الذي لا يجوز ؟

إذا رجعنا الى تاريخ نشوء الحركة الرومنطيقية في السودان نجد أن ظهور هذه الحركة كان متأثراً الى حد كبير بظهورها في البلدان العربية الأخرى . فالشعراء

المجددون في السودان كانوا قد اطّلعوا على الأدب المصري الحديث الذي تشبّع بدوره بقراءة الأدب المهجريّ . وتأثروا بنتاج الأدب الغربي الرومنطيقي في نصوصه الأصلية أو المترجمة . وكان الادباء في مصر يدعون إلى إنشاء أدب قومي مصري (جماعة أبوللو والذاهبون مذهبهم) ، فتسرّبت هذه الروح الى الشعراء السودانيين الجدد ، وحضّ عليها فشلهم في ثورتهم عام ٢٤ وتبرّمهم بشعراء التقليد ، وتعطّشهم إلى أدب ينبع من ذواتهم ، فانسجمت هذه الروح مع ردّ فعلهم الشخصي ، وهبّوا هبّتهم ضِد الرجعية الفكرية والتقاليد الأدبية والاجتماعية .

بدأ هذا الاتجاه إذن في أعقاب الثورة . وكان أول من حمل لواءه الناقد السوداني حمزة الملك طنبل في جريدة الحضارة السودانية ١٩٢٧ ، ثم في مجلة النهضة ، وسار معه عصبة من الروّاد المجددين أمثال عرفات محمد عبدالله (صاحب الفجر) ، ومحمد عشري ، وعبدالله عشري ، ومحمد محجوب ، ومحمد عبد الرحيم وغيرهم .

قرأ طنبل كثيراً مما كتبه النقّاد العرب المعاصرون وخصوصاً المازني والعقاد ، فتأثر بهم وأخذ يطبق مقاييسهم النقدية على الشعر السوداني تطبيقاً دلّ على فهم وأصالة ذوق .

لم ينكر طنبل الصلة التي تربط السودانيين بالعرب ، بل اعترف بتشابه البيئة السودانية والبيئة العربية من حيث الحياة القبلية ، وطرق المعيشة ، وحالات الجوّ ، مما طبع الشعر السوداني بطابع التقليد للشعر العربي . غير أنه أنكر على المقلدين مبالغتهم بالتقليد ووقوعهم في الكذب والثرثرة كأن يبدأ أحدهم قصيدته بالغزل « حين لا يكون هناك فتاة رأتها عينه ولا قالت له ولا قال لها [1] » ، أو يشدّ الرّحال على الناقة حتى يصل الى ممدوحه مفضلًا ركوبه على ركوب القطار « وليس بين الدار والدار إلا ساعة من نهار » أو يقلد الأقدمين في الفخر « وهو من أمة هي في الصفّ الأخير بين الأمم » ، مما لا يتمشى مع واقع الحال النفسية ،

---

١ — حمزة طنبل : الأدب السوداني .

أو يخلع الأوصاف الكثيرة على الممدوح كقول أحمد محمد صالح في مدح السيد عبد الرحمن المهدي :

وأقسمُ ما قاسوكَ بالبدر ميسما وشمس الضُّحى إلا ووجهك أجملُ

فيعلـّق طنبل على هذا البيت قائلاً : « وقد اشتقت الى رؤية هذه المعجزة التي ظهرت في آخر الزمان ، ثم وفقني الله الى التمتع بالنظر الى ذلك الوجه الكريم ، فإذا هو وجه كغيره من وجوه آبائنا أهل السودان أحالت لفحة الشمس لونه إلى الزُّرقة ، فانصرفت وأنا اقول : كفّر يا أحمد أفندي عن يمينك كفر ! »

وينتهي هذا الناقد البارع الى دعوة صريحة : جعل التعبير عن التجربة النفسية الغرض الأول والأخير للشاعر ، وترك كلّ ما يحول دون « التعبيرالحرّ » الصادق عن مكنون الحالة النفسية : « نريد أن يكون لنا كيان أدبي عظيم ، نريد أن يُقال عندما يقرأ شعرنا من هم فيخارج السودان أن ناحية التفكير فيهذه القصيدة تدلّ على أنها لشاعر سوداني ، هذا المنظر الطبيعي الجليل موجود في السودان . هذا الجمال هو جمال نساء السودان . نبات هذه الروضة أو هـــذه الغابة ينمو في السودان » .

ثم يدعو طنبل الى العناية بالمعنى قبـل المبنى والروح قبل الشكل ، وينتقد الشاعر المقلد حين ُيجري على لسانه عبارات يكمل فيها المعنى دون ان يكلف نفسه الوقوف عندها وتمثلهـــا بعقله وروحه كقول الشاعر عليّ أرباب (ولد عام ١٩٠٦) :

رأتني فتاة الخِدر عيني تقطر ودمعيَ من عيني يسيل ويحدر

فينبهه الى أن الشطر الأخير يغني عنه (عيني تقطر) وكلمته « يسيل » يغني عنها يحدر .

وأما محمد أحمد محجوب فقد قام بنصيب غير قليل في هذا المجـــال أيضاً . وخصوصاً في بحثه « الحركة الفكرية في السودان الى أين يجب أن تتجه ؟ »

درس محجوب الأدب المصري ، واطلع على الثقافة الانكليزية في مصادرهـا

الأصلية، فعبّر عمّا قاساه دعاة التجديد في نضالهم لنشر آرائهم من طبقة المحافظين ، وردّ على التهم الوطنية والدينية التي رموهم بها ، ووضع الأسس والتخطيطات للأدب القومي الجديد . فأعلن أن المجددين لا يلغون الماضي، أو ينكرون تأثيره في الحاضر ، أو يدعون الى قطع الوشائج التي تربط الحاضر به (ولكن اختلاف الزمان والمكان والبيئات قمين بأن يعطي كلّ أمة طابعاً خاصاً يميّزها عن بقية الأمم في مناحي تفكيرها واتجاهاتها ، وبالتالي في إنتاجها المادّي والفكري . والسودان لا تتألف قوميته من العنصر العربيّ فقط ، وإنما هي مزيج من عدة عناصر ، وتراثه الثقافي تراث أجيال متعاقبة من الوراثة والاختلاط والتفاعل، فمن الطبيعي أن يحدث هذا الاختلاط أثره في تكوين الأجيال » ، ولذلك فهو يدعو الى أدب قومي سوداني يستوعب التراث العربي الاسلامي قديماً وحديثاً ، ولا ينعزل عن الأدب الغربي ، بل يهضمه ويأخذ منه ما يلائم بيئته ، ويعود الى البلاد فيستوحي تاريخها ، ويتقرّب من شعبها ، ويتعرّف عاداتها وتقاليدها ، ويدرس أساطيرها فيصوّرها تصويراً صحيحاً ، ويعبّر عن آلامها وآمالها ويوحّد اغراضها ، ويهيب بها الى النهوض من عثرتها بلغة عربية فصيحة غير مبالغ في نقائها الى حدّ يطمس اللوّن المحلي .

استمع اليه وهو يلخص دعوته بنفسه قائلًا : « هذا هو مثلنا الأعلى . حفاظ على ديننا الاسلامي ، وتمسك بتراثنا العربي ، مع تسامح شامل وافق فكريّ واسع ، وطموح يجعلنا نُقبل على دراسة الثقافات الأخرى ، كل ذلك لنحيي به أدبنا القومي ، ونثير شعورنا بوطنيتنا لنصل الى حركة سياسية تحقق استقلالنا سياسياً واجتماعياً وفكرياً » .

هذا وللمحجوب آراء يثور فيها على طريقة القدماء في نقد القصيدة بيتاً بيتاً ، ويطلب أن ننظر اليها كنظرنا الى جمال المرأة ، فيقول « ولكننا عبثاً نحاول أن نجد جمال المرأة في تقاطيعها وقسماتها إذا نظرنا اليها منفصلة عن بعضها . إنها كالتمثال الجميل أو القصيدة الجيّدة » .

كما أن للتجاني يوسف بشير آراء نقدية دافع بها عن اتجاهه الشعري . وتتلخص هذه الآراء في أن الشعر فنّ سحريّ وإلهام يبدأه الشاعر من جانبه ، وتكمله له

أرواح تهمس في دمه الشّعري النبيل ... وأن الشّاعر نبيّ يوحى اليـــه ، وأن قوّة الالهــام أعظم وأفخم من أن يشغلها قالب من الأوزان المعروفة، وأنّ الاسلوب الذي يوحي ويصور أبلغ من الأسلوب الذى يشرح ويفسر ، ويطنب ويسترسل .

هذه الآراء والتخطيطات كانت نقطة تحوّل في تاريخ الشعر السوداني ، وضعها هؤلاء النقّاد ، وترسّموها هم في إنتاجهم، فتولّد عندهم شعر سوداني جديد يتميز بعدة خصائص أهمها :

١ ـ النفور من التقليد، والاحتجاج على أساليبه التي تقيّد الحرية ولا تترك مجالاً للابداع المبتكر .

٢ ـ الثورة على الشرائع ، وازدياد نصيب الشعر من التجارب الخـــاصة والذكريات الماضية وحياة الطفولة .

٣ ـ التبرّم بالحيـاة والأوضاع ، والهرب من عالم الواقع الى عالم التخيّل والوجدان ودنيا الحساسيّة الشخصية .

٤ ـ النّفور من حياة المدن، والعودة الى الطبيعة، والاندماج فيها أوالتّهويم في ما وراءها .

٥ ـ إطلاق العنان للعواطف ، وتعرية المشاعر والأحاسيس، والسّمو بالحب سموّاً يبلغ حد التقديس .

٦ ـ الزّهد والتصوّف ، ومزج المثل الفنية بالمثل الدينية، والظمأ الى الجمال الالهي . وتكاد هـــذه الخصائص، لا تختلف ، كما ترى ، في شيء عن الشعر الرّومنطيقيّ الفرنسيّ والانكليزيّ ، أو شعر المدرسة الرومنطيقية التي أسّسهـا جبران ورفاقه في المهجر، وكان من تلاميذها في البلدان العربية الشّابّي في تونس، وعلي محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل في مصر ، والياس ابو شبكة في لبنان .

وتبرز هذه الخصائص في شعر حمزه طنبل المنشور في ديوانه « الطبيعة » وشعر التجاني يوسف بشير المنشور في ديوانه « إشراقة » وشعر يوسف مصطفى التّني في

ديوانه «الصّدى الأوّل والسرائر» وعدّة قصائد متناثرة للشّعراء : خلف الله بابكر « خلف » ومرضي محمد خير « ميان » ومحمد أحمد محجوب ، ومحيي الدين صابر والشاعر حسن عزّت في ديوانه « دموع وأشواق » رغم تفاوت ما بين كلّ منهم والآخر في مجال الخلق والابداع .

أمّا نفورهم من التقليد وثورتهم على أساليب من سبقوهم فنلاحظهما في تغليبهم الأوزان الخفيفة والقصيرة على الأوزان المنبسطة ، وعدم تقيّدهم أحياناً بوزن واحد أو قافية واحدة ، وعنايتهم بتناسق القصيدة ووحدة موضوعها ، وترصيعهم المعاني والأفكار بصورة مستمدّة من محاسن الطبيعة ومفاتنها ، وحسن انتخابهم للكلمات وملاحظة رنينها الموسيقي . وهي ثورة إن لم تكن جديدة كلّ الجِدّة بالنسبة الى الشّعر العربيّ عامّة ، فهي تعني شيئاً جديداً بالنسبة الى تطوّر الشّعر في السودان .

وتظهر الخاصّة الثانية « التجارب الخاصة والذكريات الماضية والثورة على الشرائع » في نظر هؤلاء الشعراء الى داخل بيوتهم ومجتمعاتهم ، واعتنائهم بوصف أشياء مستمدّة من صميم حياتهم ، كوصف حمزة طنبل للودع والحاوي ووصف التجاني « للخلوة » وحياته في المعهد العلميّ ، وشكّ هذا الأخير خصوصاً وتحيّره الديني ، وموقفه المتردّد بين الشكّ واليقين في قصائده « حيرة ، يؤلمني شكّي ، ودّعت أمس يقيني » نتيجة اضطراب أفكاره بين تربيته الدّينية المتزمّتة الضاغطة والآراء الجديدة المكتسبة التي تنزع إلى التحرّر .

وأما التبرّم بالحياة والأوضاع فهي ظاهرة قد لازمت الشّعر السوداني في مختلف مراحله وسائر اتجاهاته . تلمسها عند المقلدين ، وتلمسها عند المجدّدين ، وتلمسها عند الواقعيّين من بعدهم . ولعلّ منشأ هذه الظاهرة فساد الأوضاع ، وما كان يعانيه الناس من قلق واضطراب أمام سيطرة الأجنبي ، ومقاومته للانتفاضات الوطنية وخنقها في مهدها ، والمضي في امتصاص ثروة الشعب ، وإبقائه على الجهالة والفقر ، وإباحته البلاد لأذنابه النازحين من مختلف البلاد لينهبوا خيرات الوطن ممّا أثار الشعراء وهم الصفوة المثقفة في السودان ، يشهد بذلك قول التجاني :

قِفْ بنا نملأ البلاد حماساً ونقوّض من رُكنها المرْجَحِنّ [1]
هي للنّازحين موردُ جودٍ وهي للآهلين مبعثُ ضَنٍّ
يستدرُّ الأجانبُ الخيرَ منها والثراء العريضَ في غيرِ مَنّ
أبطرتهمْ بلادنا فتعالى ابن أثينا واستكبرَ الأرمنّي

وقول التني من قصيدة بعنوان « وطني » :

وطني شقيت بشيبه وشبابه زمنٌ سقاك السمَّ من أكوابه
قد أسلموك الى الخراب ضحيةً واليوم هل طربوا لصوت غرابه؟
وطني يعيث به العدوُّ ولا ترى من دافع عن حوضه ورحابه
وطني أُصيب بعشر آواهمو وأظلّهم فسعَوا ليوم خرابه
لو طُهّر السودان من دخلائه لتطهّر السودان من أوشابه
لهَفي على السودان من دخلائه لهفي على السودان من أحزابه !

وتتجلى هذه الظاهرة في قصيدة حمزه طنبل « سأم قاتل » :

سئمتْ نفسيَ الحياةَ وملّت وكذا الحرُّ في زمانيَ يسأمْ
لا أرى أينما أقلّبُ وجهي غير قيد من النفاق تحكّمْ
وحفاةً من الورى وجياعاً ليس في الناس من يرقّ ويرحمْ
طال تمثيلنا الشقاء على الارض فحتى متى الرواية تختم ؟
ومتى تُسدل الستارة والأرض بمن فوق سطحها تتحطم ؟!

هذه العوامل جميعها : سوء الأوضاع ، وجهل الشعب وتعـدّد أحزابه ، والشعور بضياع قيمة الأديب وضياع كلمته حملت المجدّدين على اليأس ، ولم يدركوا أن قضيتهم هم كشعراء هي نفسها قضية شعبهم نفسه ، فانسحبوا من المعركة واعتكفوا داخل ذواتهم هرباً من القوى الجبارة التي صدمتهم في عالم الواقع .

يقول التجاني في قصيدته « لوعة الغريب » :

---

١ – المرجحن : المهتز والمتايل .

ها هنا حيثُ لا الفؤاد عصيٌّ وهنا حيث لا القِوى جبّاره
عالَـمٌ من هوىً وآخرُ من لحنٍ ووجْد أثاره من أثاره
أرّثت ناره أمـانيّ كانت قبل برد الفؤاد أصبحن ناره
ها هنا الحبّ والهوى، وهنا الاحلامُ سكرى والروضة المِعطاره
الجمال الحبيب والساحر المحبوب والزّهر والشّذى والنّضاره

لقد شكا المقلّدون الحياة وتبرّموا بالأوضاع ، ولكنّ هذه الشكوى وهذا التبرّم لم يكونا ليدفعاهم الى اليأس القاتل ونفض أيديهم من الحياة ، لأنهم كانوا يستمدّون من ماضيهم العربيّ الاسلاميّ، وشعور مصر معهم وشعورهم مع مصر وسائر العالم العربيّ أملًا يحيي نفوسهم وعزاء يشدّد من عزائمهم . أمـــا هؤلاء المجدّدون فقد أبوا أن يلتمسوا مثل هذا العزاء ، وتخوّفوا من وقوع السودان تحت سيادة مصر ، ونظروا الى الحاضر فقط فوجدوا مجتمعهم « منقسمـاً على نفسه ، قلقاً بين مختلف التيارات السياسية والفكرية : بين انهزاميين آثروا مهادنة المستعمر، ومكافحين أصرّوا على المعركة غير المتكافئة ، ومتشبثين بالماضي العربي الاسلامي ، وداعين الى حضارة الغرب الحديثة ، ومتحمسين لوحـدة الوادي ، ومتعصبين لاستقلال السودان ، ومحافظين على جميع الاوضاع الموروثة ، ومنادين بالاصلاح والتغيير [1] » . ففقدوا كل أمل لهم في الحياة ، وسيطر عليهم اليـأس ، فأوقعتهم خيبتهم في الوحدة والانطواء ففروا الى عالم الرُّؤى والأحلام ، وهاموا في الطبيعة مرتمين بين أحضانها بعيداً عن حياة المـدن . فاذا الطبيعة بالنسبة اليهم صديقة يأتمنونها على أسرارهم ، ويناجونها بل يرتقون بهـا في سلّم الكائنات. واذا هي تحزن لحزنهم وتفرح لفرحهم ، واذا هي ترجّع صدى ما في قلوبهم من بأساء ، واذا هي كائنات إنسانية لها روح تشعر وقلب يحب ويعطف ويصف ويرى ، بل عقل يفكر . واذا هي بعد ذلك تعبير حسّي عن وجود الله . وإذا الله موجود في الطبيعة ، فسعوا الى الامتزاج به ، وحنوا الى ذاته الالهيـــة ، واقتربوا من وحدة الوجود التي يؤمن بها الصوفية الصادقون . فأحبوا الله وأحبوا الطبيعـة

---

١ – الدكتور محمد النويهي : الاتجاهات .

وأحبّوا البشر ، لأنهم وجدوا في هذه الأمور جميعاً مظهراً للجمال ، ووجدوا في هذا الحب المثالي تنفيساً رومنسياً عن حرمانهم العاطفي ، وإطلاقاً لرغائبهم المكبوتة ، وريًّا لظمأهم الوجداني .

وعبدناك يا جمالُ وصغنا لك أنفاسنا هياما وحبّا
وحبَوناك ما يزيدك يا لغزُ وضوحاً وأنت تفتأ صعبا
من ترى وزّع المفاتن يا حسنُ ومن ذا أوحى لنا أن نحبّا ؟
من ترى علّم القلوب هوى الحسنِ وقال اعبدي من السحر ربّا ؟

. . .

قيل لي عنه في الزمان وحدثتُ به في سريرة الآناء
إنه النور خافقاً في جبين الفجر والليل دافقاً في الماء

. . .

ها هنا حيث هيأ الهوى لك ملكاً قمريّاً على عروش الأزاهر
دولة من مواكب النور حقّت عالماً من عرائس الشعر زاهر
دولةٌ ما تزال من قضُب الريحان تبني صوالجاً ومنابر
نسج البدرُ تاجها من أمانيه وأعلى لواءها بالمفاخر
وعقدنا لها اللواء فلا المَلْك بملكٍ ولا الأميرُ بآمرْ

هذه المقاطع وغيرها مما يتجلى عند التجاني أيضاً في قصائده « لوعة غريب ، وقلب من ذهب ، وفجر في الصحراء ، ولوحة الشاعر ، وقطرات ، والنفس ، والله ، والصوفي المعذّب » وعند حمزة طنبل في « الأصوات والصور، والامتزاج الروحيّ ، والألوان » وعند التني في « الانشودة الحزينة وصلاة الفيلسوف ، وأمل الغد، وأرّجى » وعند حسن عزّت في « لوعة صوفيّ ، والسرّ » وعند محي الدين صابر في « الفجر الغارب ، والربيع » هي بعض ما يمثل استغراق هؤلاء الشعراء في الطبيعة، وتبتّلهم في محرابها ، وتأملهم العميق في مشاهد الجمال والسحر في السودان، ووصف قلوبهم للربيع وتحدثهم عن حبهم وأحبابهم وبوحهم بخلجات نفوسهم واعترافات وجدانهم ، ونزعاتهم الصوفية المستمدة من فنائهم في الله وتطلعهم الى الخير والطهر والجمال .

والحقّ ان هذا الاتجاه الرومنطيقيّ قـد خدم الشّعر السوداني في مرحلته الاولى ، فكان ايجابيّاً تقدميّاً حين شارك في البناء القوميّ ، وصوّر الحياة المعاصرة ، وطالب بتحرير المرأة ، وثار على التقليد ، وخلص الشّعر من قيوده ، وخرج به من حدود القديم ، وخصّبه بقيم جديدة تجعله أكثر عذوبة وأكثر حرارة ، وأقرب الى شعر التجربة منه الى شعر التقليد والتهافت الموضوعي ، كما نسق القصيدة ووحّدها في عنوان ، وطعّمها بالفكر ، ولوّنها باللون القومي المحلي ، فصوّر دنيا الفقير وطفل الخلوة ونهر النيل ومدينة الخرطوم وجبل دنقله وجزيرة توتي وحياة الفلاحين في الريف السوداني وكدحهم لاستخراج رزقهم من الارض فامتزجت فيه النكهة الرومنطيقية بالنكهة الواقعية .

لكنه عجز عن أن يخلق لمضامينه الجديدة هـذه صياغة ثورية جديدة إلا في حدود الألفاظ والمعاني ، وتدفق الصور القائمة ، فظل تركيب القصيدة كما كان في السابق بيتياً مقفلاً . ولم يفهم دعاته من وحدة القصيدة غير بنائها على موضوع واحد لا بناءها بناء فنياً عضوياً . وجاءت تجارب بعضهم (طنبل والتني) مثلاً تجارب تأملية متعقّلة أقرب الى الاسلوب المحلل منها الى الاسلوب الفني المعبر انجراراً مع الاسلوب العقادي في الشعر .

اما انصرافهم اخيراً عن الواقع واعتكافهم داخل ذواتهم ، فيعتقد بعضهم أنه أثر من آثار الصوفية السلبية المتحكمة في السودان منذ القدم ، وثمرة من ثمرات ضغط البيئة المحافظة التي تحكمها أقلية سعيدة هنيئة ، والتي تنظر الى الادباء والشعراء نظرة بعيدة عن الجد . ويعتبرها الدكتور النويهي « مرحلة لازمة لا بد للأدب السوداني أن يجتازها ، كما أن الفرد لا بـد أن يمرّ في تطوّره بفترة المراهقة ، وما فيها من انفعالات مسرفة ، وأحلام جامحة قبل أن ينضج ويكتمل ويتعلم كيف يواجه حقائق الحياة ، ويعالجها دون تمويه أو هروب ، ويكون رقيقاً دون أن يكون مائعاً . »

الاتجـاه الواقعي

أحسّ الرومنطيقيّون في مبدإ أمرهم – كما قدّمنا – بواقع بـلادهم ومأساة شعبهم ، ولكن هذا الإحساس كان إحساساً انفعاليّاً غائماً ، لم يتّجه الى الواقع ليبدّله ، بل عالجه بالفرار منه . وظل الشعب جاهلاً ، والفقر سائداً ، والاستعمار مسيطراً ، والشعراء في سياحاتهم داخـــل ذواتهم يهيمون . منفصلين عن قضايا بلادهم ، بل متعالين عليها أحياناً ، الى أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، وانتهت معهـا مرحلة من الركود الأدبي ابتدأت بتوقف المجلات الأدبية إثر ملاحقـة الاستعمار لها ، وقتله كتّابها عن طريق الظروف القاسية التي أحاطتهم بها ، وظلت مستمرة طيلة سنوات الحرب العجاف .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كان هذا الشعر الرومنطيقي قد استنفد أغراضه أو كاد « وظهرت الحركة التقدمية في البـــلاد عام ١٩٤٨ مع بداية الاصطدام الوطني بالاستعمار . وانتصبت الحركة النقابية ونالت إعجاب الشعب باضراب عمال السكك الحديدية الذي دام ثلاثة وثلاثين يوماً . وصارت الطبقة العاملة بعد معاركها العملية ضد الأجنبي من أجـــل حقوقها وبمؤازرة حلفائها من مزارعين وطلاب تحظى باحترام المثقفين جميعهم . ودخلت الصحافة السياسية الى السودان ، واقتنع المثقفون بإمكانية الأدب أن يشارك في إلهاب المعركة ، فازدهر الادب من جديد ، وأفردت الصحف حيّزاً منها يكرس للأدب وحده أو مـا يسمّى بالصفحة الأدبية في جريدة « الصّراحة » لصاحبها عبدالله رجب [١] . »

وافتتحت المكتبات لاستقبال جميع الثقافات ، وازداد عدد القراء والصحف .

---

١ – صلاح ابراهيم : مجلة الثقافة الوطنية العدد ٢ ، السنة ١٩٥٦ . ويعتبر عبدالله رجب أول من مهّد الطريق للواقعيّة في فصوله (مذكرات أغبش) .

(في السودان اليوم ما يقرب من عشرين صحيفة ومجلة) . وبرزت منظمات أدبية (رابطة الكتاب السودانيين ، والندوة الأدبية بأمّ درمان ، ونادي القصة في الخرطوم بحري) ، ووصلت نماذج من الأدب التقدمي عن طريق مصر ولبنان على الخصوص . وقرأ الناشئة من الشبان شعر الشباب في العراق وشعر الشباب في مصر ، وشعر الشباب في سورية ولبنان ، والشعر الحديث في العالم ، وتأثروا بهذه المؤثرات جميعها ، فكانت ثمرة ذلك كله هذا الاتجاه الطاغي نحو الشعر الواقعي الحديث الذي تمسّ جذوته اليوم كل أدب في سائر أنحاء العالم العربي تقريباً .

ما حقيقة هذا الاتجاه وما ملامحه التي تميّزه عن الاتجاهين السابقين ؟ وما مبلغ نجاح الشعراء في التعبير عنه ؟ وما المزالق التي يمكن أن ينزلق اليها ؟ هـذا ما سنحاول تبيانه ، وإن كنا نعتقد أن هذا الشعر ما يزال في المرحلة الاولى من مراحل تكوينه ولمّا يستكمل نضجه بعد .

الواقعية كلمة استعملت أول ما استعملت في فرنسة لتدل على الادب الذي يتّجه الى الواقع ، فينقله ويصوّره بدل أن يجفوه ويعتزله كما فعل الرومنطيقيون. ولكنْ ، وكما أسرف الرومنطيقيون في طيرانهم الى عالم الرُّؤى والاحلام ، فقد أسرف الواقعيون يومئذ في تصوير الجانب البشع والقبيح في الحياة الواقعية ، وسمّيت حركتهم بالحركة الطبيعية ، أو مذهب النقل الحرفيّ للحياة .

أما الواقعية بمعناها الحديث فهي لا تنقل الواقع نقلاً حرفياً ، وإنما تصطفي منه النماذج ، وتختار الشخصيات ، فتكتسب بذلك قدرة جديدة على التأثير بالواقع الأصلي والتفاعل معه وتفجير طاقاته الكامنة . وتمنح الانسان التحرّر من أغلال الواقع المتضع ، وتشعره أنه سيّد هذا الواقع ، وأنه حرّ يخلق الحياة . وهي بالتالي تنقل الادب من حيّز الانفعال الذاتيّ المحض ، ومن نطاق الخيال والتأمل المجرّدين الى حقول النشاط الانسانيّ حيث يعيش النـاس البسطاء ويعملون وينتجون ويتطوّرون . وهي ايضاً تطلب من الأديب أن يكون فهمه للعـالم الذي يحيا في داخله فهماً مترابطاً متكامـلاً . يدرك التجربة الشخصية في ضوء

الواقع العـــام ، وينظر نظرة متطوّرة تحترم حياة الانسان وتؤمن بمستقبله ، وتجعل من صناعة الادب رسالة ، ومن الأديب رسولاً مسؤولاً .

هـذه خلاصة المذهب الواقعيّ كما طلع في مهده . وقـد قوي هذا الاتجاه أخـيراً في بلادنا ، وظهر له أتبـــاع ومريدون بين شعراء مصر والعراق . ووصلت نماذجه الى السودان فاستجاب له الشعراء المقيمون منهم كجعفر حامد البشير، وصلاح ابراهيم ، وعبد العزيز صفوت، ومبارك حسن خليفه، ومحمد فضل السيد وغيرهم ، والمغتربون في مصر أمثال تاج السر حسن ، وجيلي عبد الرحمن ، ومحيي الدين فارس ، ومحمد مفتاح الفيتوري ، على تفاوت في الصّياغة والتجديد واختلاف في الجودة بين شاعر وشاعر . فلنتلمّس الآن خصائص هـذا الاتجاه ، ونبرز ملامحه التي تميزه من شعراء الاتجاهين السابقين .

يمتاز هذا الاتجاه ، أول ما يمتاز ، بالسّير نحو انطلاقة جديدة في المضمون وانطلاقة جديدة في الشّكل .

أما من حيث المضمون فيتصف بالانبثاق عن الواقع ، والارتباط بحيـــاة الجماعة ، والتجاوب مع الأحداث . وهي مميزات ليست بالجديدة كل الجـدّة في الشعر السوداني . فقد اتصف بها شعر المقلـّدين في مرحلتهم الاخيرة ، وحوّم عليها الرومنطيقيّون في أوائل عهدهم . ولكنّ المقلدين اكتفوا من الواقع بوصفه من الخارج وصفـاً مسطّحاً لا يعبر عن تجربة ، ويقع في رتابة التـّقرير وجمود القالب . كما أن الرومنطيقيين قد نظروا اليه من خلال قضيـّتهم الفردية الخاصّة وأحلام ذواتهم ، فوجدوه يحفل بالظـّلم وتنعدم فيه العدالة ، ويسود النفاق . ولا شأن فيه لشاعر أو قيمة لأديب ، فسخطوا عليه ، وعافوا أهـله ، وفرّوا الى الطبيعة وأبراج العاج .

أما هؤلاء الواقعيون فقد اندمجوا في واقعهم ، وعاشوا أحداثه ، وأسهموا في المعركة مع أهله الطيّبين ، مكتشفين ما في هـــذا الواقع من علاقات ، مفسّرينها تفسيراً يرفع المسؤولية عن الشعب ، ويضعها على الأجنبيّ والنظام الفاسد الذي يحميـه ، والرجعية التي تقف من ورائـه لتسنده . ولذلك فهم

يصبّون سخطهم على الأجنبي ، ويحملون راية التحرّر من قيوده . ويتّجهون الى الواقع ليغيروه ، ويبنوا حيـاة جديدة لا بقاء فيها لمستعمر ولا لمستثمر ، ولا سيادة للون على لون، معبّرين بذلك عن روح عصرهم التي تؤمن بالانسان، وتفهم قانون التطوّر ، وتدرك سير التاريخ ، شاهرين الشعر سلاحاً ضدّ قوى الظلام ، ومبشّرين بالفجر الذي سيطلع على الناس . إقرأ « نشيد الحرية ، غداً لنا ، الى النهاية » لجعفر حامد البشير ، و « أشواق الكفاح » لجيـلي ، وقصيدة « ثورة » لتاج السرّ ، و « الطوفان الأسود وأغاني أفريقية » للفيتوري ، و « الطين والأظافر ، والقرصان الكبير ، والسلام الاخضر ، والصّدفات والقاع الأزرق » لمحيي الدين فارس ، واستمع الى الفيتوري ينشد :

الملايين أفاقتْ من كراها	ما تراها .. ملأ الأفقَ صداها
خرجتْ تبحث عن تاريخها ..	بعد أن تاهتْ على الارض وتاها
حملت أفؤسها وانحـــدرت	من رَوابيها وأغوار قُراهـا
فانظر الاصْرار في أعينهـا	وصباح البعث يجتاح الجبـاها
يا أخي في كلّ أرْض عريت	من ضياهـا وتغطّت بدجاها
يا أخي في كل أرْض وجمت	شفتاها واكفهرّت مقلتاهـــا
قمْ .. تحرّر من توابيت الأسى	لست أعجوبتها .. أو مومياهـا
انطلق فوق ضُحاها ومساها	يا أخي قد أصبح الشعب إلها

وأصغِ بسمعك الى محيي الدين فارس يصوّر يقظة أفريقية وإنسانها الاسود :

أفريقيا ما عادت طفله
ما عادت تلعب في الغابه
تختبىء وراء ظلال الطّلح هنالك تلبس أعشابه
وتبيـع بحفنة خرزات إكسير حياة خلاّبه

• • •

أفريقيا ما عادت طفله
شبّت .. وتثاءب نهداها

ما عادت تلعب في الغابه
تخشى الأشباح الجوّابه
وخطى الظّـلّ
تمتدّ .. فتحسب قافلة خلف التلّ
تتلصّص في حذَرٍ .. تصغي لخيوط خرير منسلّ
فتغيب بأعمـاق الأجراس ، تغيب بأعماق الظلّ
والطـّلّ على خد الأعشاب حبائل دمع منهلّ

...

أفريقيا ما عادت طفله
شبّت .. وتثاءب نهْداها
لن يحجبها ليل الغابه
وستخرج للعالم قلباً .. يتدفـّق نوراً ورغاده
وتحوط ذراعاها الأزْهار وستغرس بالحبّ مهاده
وستعرف من داس جناها
من سوّر عالمها بالليل وراح يطلسم دنياها
من سار على جثث الموتى .. من سار على الارض إلها !!

إقرأ هذه القصائد جميعها تنكشف لك هذه المعاني بأجلى مظاهرها . وارْجع الى معظم نتاج هؤلاء الشعراء تجدهم مستمرّين في التأكيد على معـالم القومية السودانيّة ، ولكن ضمن الإطار الإنساني الذي لا يفرّق بين البشر ، وإنمـا يضمّهم جميعـاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعواطفهم الدينيّة . ويحتضن كفاحهم ويعانقهم بعطف وتآزر ومحبة تغمر بحنانها الجياع المحرومين ، المعذبين في السودان ، المقهورين في كوريا ، المناضلين في المـاو ماو ، التائهين في كلّ بقاع الدُّنيا .

ولا يقتصر شعر هؤلاء الشُّعراء على إبراز منطويات الكفاح الوطني فقط ، بل هو يهتم ايضاً بإبراز منطويات الاختبار الشخصيّ فيعبّر عن هوى أصحابه ،

وأشواقهم ، وتلهّفهم على الجمال ، وعلاقاتهم بالمرأة وانفعالات نفوسهم أمـــام الطبيعة ، ولكن من خلال الواقع العام ، ممّا يجعل شعرهم أكثر واقعيّـــة وأكثر شمولاً .

هذه هي مميزات هذا الاتجاه الشّعري من حيث مضمونه . أمـا من حيث الشّكل فهو يراوح بين الصّياغة القديمـة التي مرّ بها جميع الشّعرا ، الواقعيّين في المرحلة الاولى من حياتهم وبين الصّياغة الجديدة التي يسير فيها الشعر ، بعد أن اكتمل وعي الشعراء ، ونضجت التجارب عندهم ، نحو التخلّص من الاسلوب التقريري ، الخطابي ، والبيتيّة المقفلة ، والقافية الموحّدة .. واستخدام صياغـــة جديدة تستند على التفعيلة الواحدة ، وانعدام التّقفية ، أو التّقفية المتراوحة ، والحوار الجانبيّ ، والتعبير بالصور تعبيراً بنائيّاً يؤثر اللّفظ المتداول الذي يحمل ارتباطات شعبية عامة ، ويتوخى البساطة التي يستمدها من بساطـــة الارياف وأساطيرها وحكاياتها وفولكلورها الغنيّ بالتعابير والصّور والرّموز . فيكتسب بذلك نصيباً كبيراً من الفنيّة والحيويّة والمرونة .

على أن ما يؤخذ على هـــذا الاتجاه هو اقتصار بعض القصائد على الرّؤية المسطّحة ، ووقوع بعض أصحابه في الخطابة والتقرير والهتاف ، وافتقارهم الى الشّكل الفنيّ الذي لا يفرض الحدث ، بل يحضره من الدّاخل بواسطة الصّور النامية التي يؤازر بعضها بعضاً .. ولكن هذا الاتجاه ما يزال في بداية الطريق – كما أسلفنا – وشعراءه لم يتجاوزوا العقد الثالث من العمر ، والناس ينتظرون منه الخير الكثير . يقول صلاح أحمد ابراهيم – وهو واحد منهم – : « ورغم أن هذا الادب ما يزال طفلًا يتعثّر ، ويحب التقليد ، وتعتريه نواقص كثيرة ، فهو محطّ الامل الوحيد لأدب سوداني متطوّر في المستقبل . والادب السوداني على أيّ حال هو الادب الوحيد الذي باستطاعته أن يعكس حياتنا حقّاً ، ويحمل مميزاتنا وقسماتنا وروح مشاكلنا ، وبالتالي الادب الوحيد الأكثر قرباً وقبولاً من شعبنا ، والادب الوحيد الذي يحمل في تضاعيفه بذور أدب سوداني مستقل للمستقبل . وقد لا نتوقّع منه الكثير الآن ، وقد تملأ نفوسنا بالاشمئزاز منه

إذا ما لجأنا الى مقارنته بالنماذج الاجنبية ، ولكن من هنا نبدأ ، ومن خلال محاولات وإجهاضات كثيرة ، من خلال العنت والمشقّة وبفضل النّقد البـاني والتوجيه المترفّق الرّشيد ، لا بدّ أن نصل الى الجيل الادبي الذي ينتج العباقرة. وعندها يقول ذلك الجيل عنّا : شكراً لهم ولمحاولاتهم على بدائيّتها ، فـلولا إصرارهم ولولا أنهم بدأوا لكان من الممكن أن أتأخر أكثر من ذلك » .

« هذا هو ما يحاوله الادباء الواقعيّون ، وهم يعرفون أنهم مجرّد تلاميذ ، وكثيرة هي عيوبهم ومآخذهم .. وأنهم قد يسيئون فهم المذهب السليم . إلا أنه من الممكن أن يُقوّم ميلهم واعوجاجهم .. ولكن العيب على من لا يرى المذهب السليم، أو من يرى المذهب السليم ولا يتوخاه . إن المذهب الواقعيّ قفص ، ولكن الى الحدّ الذي يشبه القفص الصّدري الذي ينظّم ويحمي عمليّة التنفّس ولا يعرقلها . فالنظريّة في هذا الصدد ليست سوى مرشد وهادٍ للعمل ، والويل لنا يوم يسيطر على أحكامنا وأفعالنا الصّدفة والاعتباط » .

« ولكن بمثل ما نحن ضدّ نظرية التخلّي عن النظريّة، نحن ايضاً ضدّ عبادة النظريّة ، ضد تقديس المذهب والسجود أمامه . إن كثيراً من « الطّالعين » في الواقعيّة يأخذون نصوصها كآيات منزلة ، تنطبق على كل حالة وظرف وتتحوّل النظريّة على ألسنتهم الى ترديدات ببغائيّة تسيء الى مرونة المذهب وتطعن عدالته » .

والادب الواقعي هو أدب الحياة كلّها بما في ذلك الأدب السياسي . هو أدب الشّمول ، أدب كل الخلجات والمضطربات التي تعتري الانسان . إنـه من الاجحاف لمن ينادي بالواقعيّة أن يحدّها عند حـدّ تصوير هذه الجوانب من الانسان وترك تلك هكذا ابتساراً وتعسّفاً . لماذا ؟ لكي نتفرّغ للأدب السياسيّ ألا ما أبخس الحجة [1] » .

بقي أن نشير الى قضية كثر الجدل حولها ، هي قضية الفيتوري . يؤخذ على

---

١ – صلاح ابراهيم : مجلة « الثقافة الوطنية » بيروت العدد ٩ السنة ١٩٥٧ .

هذا الشاعر مشاعره الحاقدة السّوداء التي تتعمّد إثارة السود على البيض ، ظنّاً من الشاعر أن قومه إنما يُضطهدن لأنهم سود فقط ، لا لأنهم فقراء وضعاف . ولهذا السّبب يقصر حبه على الزّنوج من بني جنسه . يستثيرهم ضدّ اضطهاد البيض لهم ، من غير أن يتبيّن ما وراء هذا الاضطهاد من عوامل ومحرّكات ، وأن الذين يضطهدون السود هم الذين يضطهدون البيض أيضاً ، وأن القضية ليست قضية أسود وأبيض ، وإنما هي قضية غالب ومغلوب ، ومُستثمِر ومُستثمَر ، لن يحلّها غير اتحاد المغلوبين والمستثمرين حتى يصبح العالم ملكاً للعمال — كما يقول الشاعر الزّنجي الامريكي « لانجستون هيوز » :

« لست أنا فقط أعلم هذا الآن
بل الناس الفقراء المظلومون
من بيض وسود
عليهم أن يضعوا أيديهم في يدي
لِنهُزّ أعمدة المعابد
التي يسكنها آلهة مزيّفون
وتقوم فيها مذابح بالية
أحسن الدفاع عنها ،
ويسود أنحاءها حكم الجشع
الذي يجب أن ينتهي .
أيها العامل الأبيض هاك يدي
سيصبح العالم الأبيض والعالم الأسود
عالماً واحداً : عالم العمّال ! »

لقد أدرك هذا المعنى محيي الدين فارس — وهو شاعر أسود أيضاً — فلم يقع بمثل ما وقع فيه زميله الفيتوري ، بل احتضن القضيّة في صدق ووعي مستنير ، ملتقياً مع زميله الزِنجيّ « هيوز ». يقول فارس :

« لم أكره الأبيض لكنّني
كرهت منه الصّفحة المعتمه

فلونه كلون قلبي وفي كفّيه كفّي
غنوة ناغمه
يا لون أعماقي التي مزقت عروقها المعاول الهادمه
أحببت كلّ الكون كلّ الورى
كلّ معاني القيم الملهمه
لكنّني أبغض من حرّم النّور على عيوننا المظلمه
ومن أقام اللّيل في أرضنا معصبا بكفه أنجمه ! »

هذا هو تاريخ الشّعر العربيّ المعاصر في السّودان بمختلف مراحله وتطوّر اتجاهاته . نضعه بين يدي هذه المختارات لعله أن يلقي عليها بعض الضّوء ، ويحفز الدّارسين من إخواننا السّودانيين الى القيام بدراسات أخرى جديدة ، تكشف ما خفي علينا ، وتستدرك ما فاتنا من شعر ، قد نكون أهملناه لتعذّر وصوله الينا ، أو اكتفاء منا بنماذج اعتقدنا أنها كافية لتمثيل اتّجاه معيّن [١]

أحمد أبو سعد

---

١ – قبل أن أختم هذا البحث لا يسعني إلا أن أعترف بفضل الاساتذة : الدكتور إحسان عباس ، والدكتور عبد المجيد عابدين ، والدكتور محمد النويهي الذين عاشوا في السودان ، وقدّموا لنا كتباً ودراسات مبنيّة على الاحتكاك الطويل بالبيئة الأدبية والبيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعيّة . ومعرفة الأدباء معرفة شخصية مباشرة قادتنا الى مثل هذه الدّراسة .

مراجع البحث

إحسان عبـــاس : نهضة الشّعر في السّودان ، مجلة الأديب ج١ سنة ١٣ ص٤٠
فن الشعر ـ دار بيروت للطباعة ١٩٥٥

عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربيّة في السُّودان ـ القاهرة ١٩٥٣ .
التجاني شاعر الجمال ـ القاهرة ١٩٥٥

محمـــد النويهي : الاتجـاهات الشّعريّة في السودان ـ معهد الدراسات بالقاهرة ١٩٥٧

صلاح ابراهيم : قصة القصة في السودان ـ مجلة «الثقافة الوطنية» العدد ٢ و٣ السنة الخامسة

محمد أحمد الجابري : في شان الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله ـ دار الفكر العربي ـ مصر ١٩٤٧

محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس : في الثقافة المصرية ـ منشورات دار الفكر الجديد ـ بيروت ١٩٥٥

حسين مروّه : قضايا أدبيّة ـ دار الفكر بالقاهرة ١٩٥٦

سعد مخـــائيل : شعراء السّودان ـ الخرطوم عام ١٩٢٤

نجيب مرور : قصائد من السّودان ـ مجلة الآداب العدد ٦ السنة ٤

عبدالله عبد الرحمن

شاعر من شعراء التّقليد البارزين .

ولد في أسرة دينيّة (١٨٩٢) . جدّه شيخ علماء السّودان العلاّمة محمد الأمين الضّرير . وهو أحد رجال الدّين المعمّمين .

درس في كليّة « غردون » ، وتخرّج فيها ، ثمّ أصبح أحد أساتذتها .

شارك في خلق النّهضة العلميّة والاجتماعيّة والوطنيّة . وكان عضواً في هيئة « مؤتمر الخرّيجين » .

من آثاره الشّعرية ديوان « الفجر الصّادق »، صدر في مصر ١٩٤٧ م ، وهو سجلّ يضمّ شتّى الحوادث في شتّى المناسبات .

يمتاز شعره بنفحته الدّينيّة (النّبويّات والهجريّات) ، ونزعتـــه الوطنيّة الاجتماعيّة التي تستعيد مجد العرب ، وتحارب أعداءهم ، وتستلهم أيام الاسلام ، وتدعو الى الاتحاد ونبذ التفرّق ، وتحضّ الامّة على العلم لتتحقق للوطن آماله ، فيعزّ جانبه ، ويرتفع شأنه . كما يمتاز بوصفه لمناظر الطبيعة في السودان . ويضمّ بعض القصائد في رثاء الشخصيات الوطنية .

لكنّ هذا الشّعر مشوب ببرودة الأديب الواعظ والناصح المرشد . ومفتقر في معظمه الى اللّهب وحرارة الأسلوب الذي لا يكتفي بالوصف والاخبار وإنما يمتزج بالمشاعر ويعبّر عن تجربة .

أمّا طابعه العـــامّ فهو عربيّ ، لا أثر لاقليم بلاده فيه ، مصوغ بعبارات الأقدمين وأوزانهم ، ومستعار من صيغهم ومجازاتهم وتعبيراتهم المأثورة حتى في وصفه « الطبيعة في السودان »، وإن كانت هذه القصيدة لا تخلو من ملامح تصوّر بيئة هذا الشاعر وعادات سكانها الحقيقيّة .

النيل بمدني ــ عاصمة النيل الأزرق

رفّ فيه النّبات حتى كأنّي ... مِن وراء الزّجاج أرنو إليهِ
وكأنّ المياه صفحة خدّ ... وكأنّ الظّلام شامٌ عليه
وكأنّ الدُّخانَ من جانب الشّطّ مَشيبٌ يلوح في عارضَيْه
يتلقّى الأديب منه قوافي الشّعر رقراقةً على حافَتيه

• • •

وظلال الجمّيز والطّلْح والسِّدْر ترامى على المروج الوسيعه
ووجوه النبات تحلو وتُبدي ... صوَراً للحياة كانت بديعه
ليس أدعى إلى السُّرور كروضٍ ... خَلَعَتْ حسنَها عليه الطّبيعه

الطبيعة في السودان

كم للطّبيعة في السّودان من فِتَنٍ ... وكم لأطيارها من سِحْر ألحانِ
الرّمْل عند ضفاف النّيل تحْسبه ... حمر الشّفاه خلاها بيض أسنان
وظلمة اللّيل في العتمور [1] ملهمة ... خوالدَ الشّعْر يرويها الجديدان
ما للكهارب سلطانٌ على قمرٍ ... ولا على الشّمس سلطانٌ لبنيان
هناك في كَرْدَفانٍ أيُّ متّسع ... للطّرْف في بارةٍ أو أرْض خيران [2]
حيث البداوةُ في أحلى مظاهرها ... والإبْلُ طالعةٌ من بين كُثبان
ما أجملَ الرّيفَ مصطافاً ومرتَبعا ... وغادة الريف في عيْنٍ وغزلان
الخدّ لم تجرِ موسى في جوانبه ... والجيد في حسنه عن زينة غان [3]
إذ تُقبل الأرض أعقابَ الخريف، بها ... بكلّ وجه بماءِ الحسن ريّان

---

١ ــ العتمور : مفارة عظيمة بين وادي حلفا وأبي حمد .
٢ ــ بارة وخيران : من أرض كردفان .
٣ ــ عرب كردفان لا يشرطون خدود فتياتهم قصداً للجمال ، كما هو الشأن في بعض قبائل السّودان .

والضأنُ والمَعْزُ والأنْعام تابعةٌ مواقعَ الغَيْث قطعاناً لقطعانِ
وللحداةِ حداءٌ كلّه كرمٌ فيه الإباء وفيه نصرة العاني
وسامرُ الحيّ من عبد وفتيان بين البيوت وفي أعطاف ودْيان
في كلّ ليل تحاجيهم عجائزهم بابن النمير وسوبا وابن سلطان [1]
وتارة يُرْهِفُ الفتيان سمعَهمُ إلى نوادر أجوادٍ وفرسان
وابن المحلّقِ لم تبرحْ حكايته في الحيّ يسردها أشياخ حمران [2]
يا قبرَ تاجوج حيّاكِ الحيا ومشى بصفحتيك شذا وردٍ وريحان

نحن عرب

بني وطني إن قمتُ للضّاد داعياً فإنّيَ أدعو للتي هي أقومُ
لقد وثّق الله الرّوابطَ بيننا فلا تنقضوا باللهِ ما اللهُ مُبرِمُ
أرى الضّاد في السودان أمست غريبة
وأبناؤها أمست لها تتجهّم
تولّتْ وما دمعٌ عليها بغائض وما أحدٌ منهم لها يتألم
وساءتْ مقاماً فهي ثكلى حزينة وعيّت جواباً فهيَ لا تتكلم
عزيزٌ علينا أنْ نراها هزيلةً وجاراتُها فينا تزيد وتعظم
كفانا هواناً أنّ رَيباً يحوطنا وأنّا إذا رمْنا الحديثَ نجمجم
وأنّا برغم العلم في كلّ بلدة يحيط بنا هذا الظلام المخيّم
تبدّلتِ الأحوالُ حتى لقائلٍ يقول على قدْرِ التدلي التقدّم
ونُبّئتُ في السُّودان قوماً تآمروا
على اللّغة الفصحى أساءوا وأجرموا

---

١ – ابن النمير وسوبا وابن سلطان أقاصيص شعبية . وسوبا كانت عاصمة النوبة العليا وهي تقع على النيل الأزرق جنوبي الخرطوم .

٢ – الحمران قبيلة صغيرة من قبائل البجة في شرقيّ السودان . أكثر عملهم رعي الإبل والماشية . ومن الحمران تاجوج وابن محلّق العاشقان . ولهما قصة كقصّة قيس وليلى .

وبالأدب القوميّ قالوا سفاهة وما لحوا حقاً ولكن توهموا
ألا نحن عُرْبٌ قبل أن لعبت بنا
صروف الليالي والجهول الغشمْشمُ

. . .

أَما والليالي العشر والفجر طالعاً وما الفجر في الاسلام إلا محرَّمُ [1]
إذا لم تُحسّوا داءها وهو فاتكٌ تهونوا ، وفي غير العروبة تُدْغموا
فعضّوا عليها بالنواجذ إنها سلاحُكمُ إن تخلعوه هُزِمتمُ
سلامٌ عليكم إن فقدتم بيانها ، سلام على الفصحى سلام عليكمو

الاسلام وطن

بني الملّة السّمحاء نفسي فداكموا من الضّيم لو ردّ الفداء مصابا
أَراكم تُطيلون التّشاكيَ بينكم وتبكون إن ريبُ الزّمان أرابا
وما المجد في الدُّنيا لأحمقَ مائقٍ [2] ينام ويرجو أن ينال طِلابا
ولكن لمن يأتي الأمور بهمّةٍ ولكن لمن يبغي الحياة غِلابا
إلى الله أشكو ما نلاقيه من أذىً غدونا به بين الأنام وصابا [3]
وأكبر ما أشكو النّفاق فإنّنا لبسناه من دون النّفوس ثيابا
تأصّل واستشرى وأمعنَ مُفسداً وردّ البيوت العامرات خرابا
وأنشب في روح الشيوخ مخالباً وأعملَ في روح الشّبيبة نابا
ففرّقهم أيدي سبا وتكسّرتْ جماعاتهم كلْمى به وغضابا

. . .

تعالوا فردّوا للكتاب أمورَكم يُثيبُكمو ذو العَرْش منه مثابا
فلا دين حتى يألمَ الفرد منكمو لما تألمُ الأفراد منه وتأبى

---

١ — أخذت هذه القصيدة من قصائده الهجريات في أوّل محرم .
٢ — أحمق مائق أي شديد الغباوة . ٣ — وصاب : مرضى .

وحتى يعود الدّين جنسا ، وتتقى … فوارق ردّتنا عدى وتهابا
محمّدُ يرضاكم كراماً أعزّةً … أتبغونَ عن غاب الشّريعة غابا ؟

دعوة الى الاتحاد [1]

قاتل اللهُ كاذباتِ الأماني … شغلت في النُّفوس كلّ مكانِ
ورمت أهل كل دينٍ وجنسٍ … بالأمرّين : خُلفِهم والتواني
ما ترى كيف أصبح الناس فوضى … همُّهم في تناحر وطعان
أتراهم وقد غَلَوْا في شقاقٍ … مسَّهم طائفٌ من الشَّيطان
فيمَ هذا الخلافُ يا قوم هلاَّ … وعظتكم تقلّباتُ الزّمان
أنا لولا مكانكم من فؤادي … قلت هذي خلائق الصّبيان
ما أنا اليومَ بالمقرّع قومي … أن ترامت سماؤهم بالدُّخان
لا ولا بالذي يقول ابتئاسا … إنّ قومي شؤونُهم غير شاني
أنا فوق الأحزاب رأيي، ولكن … فوقَ رأيي مصالح الأوطان
أيُّهذا الجريح أنت دواء … وشفاء البلاد ممَّا تعاني
سرْ على منهج الصّلاح وحاذر … أن تهدّ البناء في زيّ بان
لا تغالِط إنّ المناصب شيء … وطريق البلاد شيء ثان
إن حبّ الظُّهور فيما علمنا … قاصمٌ للظّهور قبل الأوان
نبّئوني بأيّ حقٍّ بسطتم … ألسنَ الطّعن في الفعال الحسان
كلُّكم في أصوله عربيٌّ … جمعتكم مواطن السُّودان

أريد ولا أريد

أريد المعاليَ أن تخصبا … أريدُ الجهالة أن تجدبا
أريد النفوس تميت الحقود … أريد الفوارق أن تذهبا

---

١ — بمناسبة الخلاف بين الخرّيجين في النادي سنة ١٩٣٣ .

أريد السّلام يُظلّ الأنام فيرجع مجداً بها مخصبا
أريد البلاد تجلّ الأديب وتجعله بازها الأشهبا
أريد الأديب يهزّ النّفوس ويذكي الشّعور إذا ما خبا
أريد البلاد وأهلَ البلاد لما يُكسب العزّ أن يدأبا
أريد البلاد وأبناءها تجلّ الأبيّ الكريم النّبا
أريد البلاد تعاف الهوان وتُكبرُ مَنْ للهوان أبى
أريد البلاد تحبّ العلوم وتنهل موردها الأعْذبا
أريد من الشّعر أمثالَه وأبعدَه في النّهى مذهبا
أريد الشباب يُرى طامحاً لنيل العلا حوّلاً قلّبا
أريد الشباب يلاقي الصّعاب بقلب كبير حديد الظّبا
أريد الذي يعشق الباقياتِ ويطلعُ في أفقها كوكبا
أريد بني الشرق أن يعملوا فما كلّ برق به خُلّبا

لا أريد

لا أريد الأديب أن يتظلّم وأَريد الأديب يبني ويهْدِمْ
لا أُريد الذي يرى كلّ شيء أَطلع الشرقُ ينبغي أن يُحطم
لا أُريد الذي يرى كلّ شيء أَنبت الغربُ ينبغي أَن يعظّم
لا أُريد المقلّدين من الناس ولا كالمعطّل العقل أَظلِم
لا أُريد الأديب يلتزم الصّمت فما كلّ وقتٍ الصّمت يلزم
لا أُريد الجهول يخطب في الناس وأَرجو الفصيح أَن يتقدّم

الناس والحياة

الناس جندٌ والحياة الوغى والشّعراء الحاملون اللّواء
والشّعر موسيقى إذا صَدحت تماثل المرضى بها للشّفاء
مهما تكن من نهضة تبتنى فكلّ بيت حجر في البناء
إذا قرضتَ الشّعر لا تأتهِ غَثّاً ركيك اللّفظ فيه التواء

ولا تقيّدْ بمعانٍ عفت ... واستوح ما أنت به من شقاء
الذّاهبون الأوّلون انتهوا لما ... عليهمِ أو ما لهم من جزاء
فما الوقوفُ بالطلولِ وما ... بُكاك فيها عبلةً بالجواء
فلا تشبّبْ بالثُّريّا ولا ... تندب زماناً كان جمّ الصفاء
ما أنت والأموات تبكيهمو ... إنّ الدُّموع من سلاح النّساء
بل النساء كفكفت دمعَها ... ورُحْنَ للأعمال غير بطاء
وقد أَخذن للعلا أهبّا ... من العلوم والفنون الوضاء
هذي فتاةُ الشرْق أقصاهُ ... أدناهُ جهداً وفتاهُ سواء

• • •

فارم إلى الإصلاح في كلّ ما ... تقوله وارْو النُّفوس الظّماء
وعالج الأمراض من بيئة ... طاحت لعمرُ الله إلا ذماء[1]
وعش ولا تغترّ من يغترزْ ... في أخصب الأوقات بات القواء[2]

• • •

أوحى إليّ الشعرَ أني أرى ... على الوجوه من أسىً سيمياء
وأنّ في الشّبابِ من أكثروا ... تبرُّماً بدهرهم واستياء
إنّ الحياة تعبٌ أيها الشّباب ... ليست عزلةً وانزواء
فصابروا ورابطوا واكتووا ... بنارها إنّ الثواء تواء[3]
أتنتدون[4] في الظّلام وقد ... شُعّت ليالي عصركم كهرباء ؟!

---

١ – الذماء : بقية الروح . ٢ – القواء : الأرض التي لم تمطر . ٣ – الثواء : الاقامة ، والتواء الخسران . ٤ – تجتمعون في النادي .

عبدالله البنا

ولد في رفاعه (١٨٩١) . وتعلم القرآن في منزله . فلما ترعرع أرسله والده الي قسم المعلمين في «غردون» ، فتخرّج فيها عام ١٩١٢ ، وانتظم ضمن مدرّسي الحكومة . ثمّ أصبح أستاذاً في الكليّة وعميداً للأدب العربي فيها .

من آثاره الشّعريّة ديوانه المسمّى « ديوان البنا » .

البنا كزميله عبد الرّحمن شاعر مقلد ، وعظ ، ورثى ، وتغزّل ، ودعا الى الأخلاق الفاضلة ، ودمعت عينه على اللغة العربية . ووصف البطانة [1] في زمن الخريف بأسلوب نهج فيه نهج الأقدمين . وجرى على عادة من سبقه في معارضة القصائد وتشطيرها وتخميسها . إلا أنه برغم خضوعه للتّقليد كان أكثر نجاحاً من عبدالله عبد الرحمن في أسلوبه من حيث السُّهولة واللّين وحلاوة النغم ورقّته « فقد تسرّبت آثار الحضارة والتعليم في أسلوبه ففتتت من تماسك العبارة عنده ، وآثرت الألفاظ المألوفة والعبارات الدّارجة والأسلوب القصصيّ ، مما أكسب شعره حركة ونشاطاً وجرياناً حياً في بعض الأحيان » :

لقاء مع أعرابي

ابتدأ المقـــال بالسلامِ	وقال حين سار في الكلام
يا من أَلِفتَ سكن البيوت	وما بها من ملبس وقوتِ
إنّ البيوت حرُّها شديدُ	ومـــا بها لنعمة مَزيدُ
الماء يُشرى عندكم مع الحطب	والنّارُ والقشُّ بأثمان الذّهب

---

١ – البطانة مراعٍ جيّدة تقع بين النيل الأزرق وأتبرة . فيها كثير من العرب كالشكريّة والحمران .

ولبن المعزى لكم يبـــاع وهنّ في بيوتكم جيـاع
فلو سكنتَ معنا البطانهْ لمـــا رأيت مثلهـا مكانه
يكفيك من دنياك كلبُ صيد يكون للغزلان مثلَ القيد
إنّــا إذا أمطرت السّماءُ فارضُنا جميعُها خضراء
إبلُنا من حولنـا عِظام كأنهن رُتّعا نعــام
وبقرُ الحيّ لهـا دويُّ كأنمـا قرونها العِصِيُّ
والضّأنُ والمعزى تبيت حولنا نحبُّهـا كحبّنا أطفالنـا
إذا ثغينَ مغْرباً في السّاحه فكالنساء صحنَ في مناحه

غزل

هيناء قـد عقد الحياء لسانها وغدا الدّلال لها قريباً يحجب
ترنو فترسل للعقول صوارما وتميس في ثوب الدلال وتَسْحب
واللّفظ مثل السّحر يستلب النهى كالخمر إلا أنه لا يُشرب
والشّعر مثل الليل إلا أنه لم يبدو فيه لمن تأمّل كوكب
والوجه مثل الشمس إلا أنه تلقاء ليل الشّعر ما إن يغرب
هي كالحياة لمُدنَفٍ[1] أو كالحيا لمؤمّل ، لكنها هي أعذب
هي كالسعادة لفظها متيسّرٌ سهلٌ ومعناها قصيّ أجنب

شكوى

إلامَ أسعى وهذا الدّهر يختزل ولا أزال بوجدي يضربُ المثلُ
مثلي تؤرّخه العليـا ببهجتها ولا تدنّسه الآثام والزّللُ
لقد نظرت لهذا القطر نظرة من لم توهه عِللُ الدُّنيا ولا الملل
قد ساءني هِممٌ في القطر فاترة تـكاد تودي به من أجلها العِللُ

١ ـ المدنف : من ثقل مرضه ودنا من الموت .

وساءني أنّ رُكنَ المجد منهدمٌ وأنّ طلابه أمسوا وهمْ ذُلُل[1]
وساءني أنّ أعراض الرجال غدت لبعضهم وهيَ في أجوافهم أكُلُ
وساءني أنّ قومي أصبحوا شُعَباً تاه الضلال بها والجهل والكسل
وساءني أنّ للبغضاء بينهمُ ما تفعل النارُ إذْ تذكي وتشتعل

رثـــاء

نفّس الوجد إنْ قدرت قليلا وقِفِ الدّمع برهة أن يسيلا
إنّ فيض الدموع نزْرٌ يسير في مُصابٍ غدا أليما جليلا
واستعار الحشا بنارٍ من الوَجــد غدا بالأسى أميناً كفيلا
أصبح الجوُّ بيننـــا أكلَفَ اللونِ وأضحى نهارُنا مستحيلا
فانعَ للجود بحرَهُ والمنايا سيفَها المخذم[2] الحسام الصقيلا
وانعَ للرأي نجمه السّاطع الثاقب جُنح الدّجى توارى أفولا
وانعَ للبرّ والفضيلة نفساً طهُرت ليلةً وطابت مقيلا

البطانة

رعى الرحمانُ أهلكِ ما أقاموا وما رحلوا ، وحيّاكِ الغمام
ولا زالت عهاد[3] المزنِ تهمي عليك ، وصَوْبها[4] هطْلٌ سجام[5]
أمامةُ أنت نور العين مني تُشقُّ به الغياهبُ والظلام
رحلت الى البطانة وهي روح وريحـــانٌ ، وعشرتها سلام
تناثرت الظباء على ثراها وراتَعها مع الإنس السّوام[6]
إذا ضجّ البِهامُ[7] بها عشاء أجاب من الطّلا[8] فيها بُغام[9]

---

١ – ذلل : أذلّة منقادون ٢ – المخذم من السيوف : القاطع ٣ – العهاد : أول المطر في الربيع ٤ – الصوب : المطر ٥ – سجام : مصبوب ٦ – السوام : الماشية ٧ – البهام : أولاد البقر والمعز والضأن ٨ – الطّلا : ولد الظبي ساعة يولد ٩ – البغام : صوت الظبية

وإن غنّت جواريها ابتهاجاً شدا بجوانب الأيك الحمام
رياض الله بسّطها فكانت دليلَ وجوده ، ولهُ الدّوام
تألّق زهرُها فيها نثاراً تألّق من جواهره نظام
فُرادى كاليتائم من وشاحٍ وأَحياناً على نسقٍ توأم
فمحمرٌ كياقوتٍ نثير ومصفرٌ يُقبّل أَو يُوام
وأزهرَ كالثّغور اللّعْس[1] أحوى[2] له في وجه ناظره ابتسام
تكاد شقائق النّعمان فيها تنادي (ما وراءك يا عصام)
هنالك حيث تأتلف العذارى وتشتبه المجاسد[3] والخيام
وحيث ترى النّسيم يضوع طيبا فيحيا من مراقده الغرام
وكلّ خريدةٍ في الحي ليلى لها قيسٌ يُؤرّقه الهيام
حلالٌ وصلُه عَفٌ هواه حرامٌ أَنْ يدنّسه حرامُ
كريمة عمّه وله أَبوها حسامٌ حين يفتقد الحسام
وحيث ترى من الأحرارِ رَكباً بكفّيْ كلّ ذي أنفٍ زمام
تبارى كالرّياح الهوج حيناً وأحياناً كما ريع النّعام
رفاق الضّيف أنّى حلّ هبّوا نشاوى الجود فهوَ لهمُ مُدام
يكاد البِشْرُ يقطر من وجوهٍ لها للضّيف ضمٌ والتزام
إذا نحروا العشاءَ مودّعات فلا مَنٌ بذاك ولا كلامُ .

---

١ – اللعس : سواد في الشفة مستحسن ٢ – أحوى : به حوّة وهي سواد الى خضرة أو حمرة الى السواد ٣ – المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن .

محمد سعيد العباسي

شاعر بدوي مطبوع .

ولد بالكوة (مديرية النيل الأبيض) عام ١٨٨١ م ، وقرأ العلوم العربية والفقهيّة على نخبة من كبار علماء السودان . ثم سافر الى مصر عام ١٨٩٩ للدخول بمدرستها الحربية فبقي فيها سنتين كاملتين استقال بعدهما من المدرسة ، ورجع الى الخرطوم ليلازم أباه فيها . ولكنه ظلّ يحنّ إلى مصر ، ويذكر أرجاءها وهرمها والنّيل ، ويحيّي شعراءها وكتّابها من مثل شوقي وحافظ والرّافعي وغيرهم .

من آثاره الشعريّة ديوانه المسمّى « ديوان العباسي » .

يُعدُّ هذا الشاعر في الطبقة الاولى بين شعراء التقليد ، بل لعلّه أبرعهم جميعاً . عالج في شعره القضايا العامة فوقف في صف العروبة والاسلام . وذمّ الغربيّين ودعا عليهم بالفناء ، وأنكر على حضارتهم شرورها وإذلالها لبني قومه . واتّهم المجدّدين من دعاة الأدب القومي بممالأة المستعمر والعمل على تحطيم السلاح الوحيد الذي يجب أن يعتمدوه في مقاومة الاجنبي وهو الاتحاد مع مصر والتشبّث بالماضي العربي الاسلامي . ونعى على قومه تفرّق شملهم ، وجهلهم معنى الحياة ووقوعهم في أشراك المُغْرِضين وحبائل الصّيادين من مدّعي الزهادة الدّجالين . وأعلن تمسّكه بالثقافة العربية ، فظلّ شعره أقرب الى البداوة منه الى الأسلوب العصري الحضري . يلتزم فيه طريقة الأقدمين ويقف على الأطلال ، ويذكر ديار الأحبّة ويحنّ الى أهلها الظّاعنين ويبث أشجانه ويشكو الزمان الذي خانه . لكنه يمتاز من شعر زميليه السابقين بفخامة العبارة وقوّة الأداء وحسن الوقع ، يرسل صاحبه فيه نفسه على سجيّتها ويقف من الدين موقفاً إيجابياً بنّاء يخلو من الوعظ . ويقترب من الاسلوب التجديدي في تفصيله بعض تجاربه النفسية وخصوصاً في مطالع قصائده مما جعل محاكاته مطبوعة .

حلو اللمى

لله يا حُلو اللَّمَى[1] ما لكَ تجفو مُغْرَما ؟
صدَدْتَ عنّي ظالما أفديك يا مَنْ ظلما
هلاَّ ذكرتَ يا رشا[2] عيشا تقضّى بالحمى ؟
رفقاً بصَبٍّ راح يهوى طيفك المسلّما
يندب أيّام اللقا وحظَّه المقسَّما
إنْ شامَ مِنْ نحوكمُ بَرْقا أقامَ مأتما
ويكتمُ الوجدَ وكمْ يغلبه أنْ يكتما
لله محبوبٌ رأى حبّة قلبي فرمى
أعيذُه منْ جائرٍ حكّمتُه فاحتكما
مررتُ بالحيّ ضحىً أروضُ مهْراً أدْهما
مرتدياً من الثيـاب ضافياً مُنَمنَما
لقيتُهُ في أربعٍ بيضٍ كأمثال الدُّمى
شابهنَ أزهارَ الرّبيع وحكينَ الأنجما
أو الجُمانَ نظّموا فريـده فانتظما
وقفتُ فاستسقيتُهُ وشدَّ ما بي من ظما
جاء بماءٍ قلت هل حاجةُ مثلي منك ما ؟!
أنشدته من فاخر الشعر رصيناً مُحْكَما
طويتُه طيَّ الرِّدا متّعتُ من فمٍ فما
تصرَّمَ الوصلُ وكيفَ رَدُّ مَنْ تصرَّما ؟

الى الاتكاليين

قالت الرزقُ في السماء بقَدْرٍ كلُّ أمرٍ يجري إلى مُسْتَقَرّ
ليس في الناس من إذا شاء أضحى رافلاً في ثياب يُمنٍ وخيرِ

---

١ – اللمى : سمرة في باطن الشفة تستحسن ٢ – الرشا : ولد الظبية

ما هو الرزق إن تأمّلتَ إلا كأسُ ماءٍ يروي ولقمة بُرِّ
قلت يا هذي أقصري عن مقالٍ لستِ تدرينَ منه ما لست أدري
أثْقَلتْ كاهلي مذاهبُ أشيا خٍ كرامٍ شُمّ العرانين[1] زُهرِ
لا أمَلُّ السُّرى ولا أترك السعـ يَ اتـّكالاً على المقـادير تجري
ومرامى إحدى اثنتين فإمّا عيش حرٍّ ، أو لا فموتة حر

مالي وللخمر رقّ الكأسُ أوراقا وللصّبابة تُصلي القلبَ إحراقا
مضى زمان تساقينا الهوى بها في فتـْيةٍ كرُموا وجْداً وأَشواقا
زُهْرُ الوجوه متى سيموا الهوان لووا سوالفاً كصُوى[2] الساري وأعناقا
صَحْبٌ حملت لواءَ العِشق بينهمُ مِنْ قبلِ أن يصبحَ العشّاق عشاقا
إذ ليس في المذهبِ العذريّ لومُ فمٍ أَرضى فماً ومشوقٍ ضمّ مشتاقا
يا برقُ طالعْ ربا الحمرا وزهرتها واسق المنازلَ غيْداقا فغيداقا[3]
وإن مررتَ على الختّان حيّ به مِنَ المناشط قيْصوما وطبّاقا[4]
إنّا محبوكِ يا أيامَ ذي سَلَمٍ وإنْ جنى القلبُ من ذكراك إعلاقا
واليومَ قصَّرَ بي عمّا أحاوله وعاقني عن لحاق الرّكب ما عاقا
وأَنكرَ القلبُ لذّاتِ الصّبا وسلا حتى النّديين أقداحاً وأحداقا

مَن معاقدي ؟

ضلالٌ لمستجْدي الغيوثِ الرّواعد ومستوقفٍ بين الرُّبا والمعاهد

---

١ – شم العرانين : ذوو أنفة . ٢ – الصوى : جمع صوة وهي حجر يكون دليلا في الطريق .
٣ – الغيداق : المطر الذي يبعث الخصب . ٤ – الختان : جبل ببادية الكبابيش غربي السودان .
المناشط : مراعي الابل . القيصوم : نوع من انواع الحشيش . الطباق : نبات ترعاه الابل .

ونضْوٌ [1] هوىً يعتادُه كلَّ ليلةٍ نزوعٌ لطيْفٍ من حبيب مُباعد
ولله قلبٌ قد سلا نشوة الصِّبا وقد كان في رَيعانه جِدَّ جاهد
وهل أبقتِ الأيّامُ شيئاً ألذُّهُ وقد أسلمتني للردى والشدائد
الي كم أُمَنـِّي النفسَ ما لا تنالـُه بجوْبِ الفيافي وادّراع الفدافد [2]
وقد رقدَ السُّمّارُ دوني فهل فتىً يُعيرُ أخا البأساء أجفانَ راقد
فيا نفس.إنْ رمتِ الوصول إلى العلا رِدي قسطلَ [3] الهيجا وغمرتها رِدِي
ويا ليلُ قد طال الكرى مَن مقاسمي سهادى ويا يوم الرَّدى مَن مُعاقدي
ومَن مُبلغٌ ذات الدّلال بأنني سلوتُ هواها اليوم سلوانَ عامد
وداعاً لأيّامي بها وصبابةٍ أطلتُ بها في الرَّبْع تسآل ناشد
وعودٍ كينبوعِ السَّراب بقيمة تراءى لدى الظّامي وأحلام هاجد
فلو كان ما يبدو بإصرار جاهلٍ لما رابني لكنْ بإصرار جاحد
لذا بعتُ لذّاتِ الصِّبا غيرَ نادم وعدتُ لشيبٍ لم يكن غير وافد
فهيَّا انزعي هذي الرعاث فإنها نظيمي وهاتي السمط سمط فرائدي [4]
وصبراً فما يجدي الحنينُ ولا البكا مشوقاً ولا أمسُ الحبيب بعائد
فمن تبطر النُّعمى وتستهوِ لبَّه يَردْ كارهاً منها وبيء الموارد

• • •

أجِلْ نظراً بالغرب تلقَ شعوبه تفانوا بأسباب الهوى والتحاسد
أداروا رحى حرْبٍ زَبونٍ سقتهمُ وقد ظمئوا نقيع سمّ الأساود
بضرب ينسّي يوم ذي قار وقعُهُ ومن صرعوا عند اللّقان وآمد
فيا ليت شعري ما الذي اهتلكوا به أصُنْـعُ بني الانسان أم صنع مارد
فمِنْ قاذفاتٍ بالهلاك مُرِشّةٍ ومن هابطات بالرّدى كالصواعد
جزى الله هاتيك الحضارةَ شرّاً جزى من تصاريف الزمان المعاند
فلم تكُ يوماً والحوادث جمّةٌ حمىً لضعيفٍ أو صلاحاً لفاسد

---

١ – النضو : المهزول . ٢ – الفدافد : الفلوات . ٣ – القسطل : الغبار الساطع في الحرب . ٤ – الرعاث : جمع رعثة وهي القرط . السمط : الخيط ما دام اللؤلؤ أو الخرز منتظما فيه .

شقينا بها حتى لبثنا أذلّةً وأغلالُها منا مكان القلائد
جزى الله عهد الراشدين وتربةً سمت بالعصاميِّين عمروٍ وخالد
أئمّةَ خيرٍ ما استباحوا كرامةً لجارٍ ، ولا خانوا حقوق معاهد

• • •

أما ويمين الله وهي أليّةٌ[1] تُقال فتغني عن يمينٍ وشاهد
سأصفح عن هذا الزمان وما جنى متى ظفرت كفّاي منه بماجد
وإنْ ألقَهَ بِعتُ الحياة رخيصة وآثرتُهُ باثنين سيفي وساعدي
كفى بذُباب السيف خِلاًّ بأنّهُ لدى الرَّوْع أصفى من خليل مساعد
هو البُرءُ من داء النفوس وربما يُسيلُ بحدَّيه سخيمةَ حاقد[2]
ويجدرُ بالحرّ الكريم ادّخارُهُ لإجلال ذي ودٍّ وإذلال حاسد
فلا سلمتْ نفسُ الجبان وباركت يدُ الله في كف الشجاع المجالد

• • •

ويحزنني من معشري أن تفرَّقت بهم سُبُلٌ أرخت هوى كلّ قائد
وقد جهلوا معنى الحياة وأنهم غدوا غرضاً يُرمى وصيداً لصائد
فمِنْ مكثرٍ دعوى الزّهادة خادعاً وكم من دليلٍ أنه غيرُ زاهد
ومن واجد حظاً وقد عدِمَ النهى ومن ذي نهىً لكنه غيرُ واجد
ومن والجٍ للمجد من غير بابه ومن قائمٍ يسعى بهمةِ قاعد
وظنَّ أناسٌ أنّهُ العيش بارداً وقد وهموا ، ما عيشُ ذلٍّ ببارد

• • •

فسبحانَكَ اللّهمَّ تسبيح طالب لجدْواك يا مولى العلا والمحامد
أنِلْ شعبنا هذا المهيضَ جناحُه هُداةً وإن لم ترضَ فامنن بواحد
كريم يرى التحرير أكبر همّه ولو بات معقوداً بهام الفراقد
يشقُّ بنا نحو الفلاح مشمّراً بجرأة ميمون النّقيبة راشد
وما هي إلاّ غيهبٌ وسينجلي متى اقترنَ المسعى بحسن المقاصد
فلله بابٌ لا يُسدُّ لقارعٍ مُجدٍّ وجاهٌ لا يُحدُّ لقاصد
وهل نحنُ إلا مجدبون تطلعوا وقد عضّهم مَحْلٌ لأوبة رائد ؟

---

١ – الأليّة : القسم . ٢ – السخيمة : الضغينة .

توفيق أحمد

شاعر وطني مصلح . ينتمي الى قبيلة هدندويه من سكان مديريّة كسلا .

ولد في الكوه (١٩٠٤) ، ثم نزح مع والده الى « الدّويم » حيث تلقّى دروسه الأوليّة . فلمّا ترعرع أرسله والده الى كليّة « غردون » فتخرّج فيها .

لم نعرف له ديوان شعر مطبوعاً . وقد اختار له صاحب كتاب « شعراء السودان » بضع قصائد نظمها وهو لم يبلغ العشرين من عمره ، تتّصف بحميّة وطنيّة ، ونزعة الى الاصلاح الاجتماعي والتململ من جور الزمان والشكوى من التّفاوت الطبقي بين غنيّ يسْعدُ ويرفهُ ، وحصيفٍ يشكو السّغَبَ ويقع في الشّقاء .

بين اليأس والرجاء

بسمَ الدّهرُ لي عن ثغره ... ليْتَ هذا البشرَ لنْ ينقلبا
أيُّهذا الدّهرُ هَلْ سالمتني ... أو خؤونٌ أنت تنوي النّكبا
جَوْرك السّالف قد علّمني ... أن أعُدّ السّعْد بَرقا خُلّبا
يسعَدُ الغُبْنُ بعيشٍ فارهٍ ... وحصيفُ الناس يشكو السّغبا[1]

* * *

١ — الفاره : البَطِرُ الشديد الأمل . الحصيف : العاقل . السغب : الجوع .

أيُّها السعد ألا مِنْ زَورةٍ أيّها البؤس ألا تنسحبا !...
أيُّها العاذلُ مهْلًا إنـّني أَكتمُ النّاسَ حديثاً عَجَبا
لا تلمني في دموعٍ حُدَّرٍ إنّ دفق الدمع يُطفي اللّـهبا
ليس طبعي أن أُرى مضطربا في عظيم الخَطْبِ أو منتحبا
آلتِ الأيّام أن تقضمني عزَّةً في النَّفس لن تنسلبا
إنّ نيل المجد ما أقصدُهُ لستُ أبغي لذَّةً أو طرباً ...
إيهِ نفسي في المعالي إرْغبي وادأبي حتى تنالي الأرَبا

* * *

ليت شعري هل أَرى في قومنا عالِماً يُمْلي علينا كتُبا
أم أرى فينا كريماً موسراً في سبيل الخير يُولي الذّهبا
أم أرى فينا شجاعاً مُقدِماً لا يبالي في المعالي العَطَبا
أم أرى كتّابنا في ضجّة ينسجون القولَ وشياً قشُبا
أم أرى للعلم نوراً زاهياً نجعلُ العَليا عليه السببا
تلك آلامُ وآمالُ امرىءٍ كتب النّحسُ له ما كتَبا
كلـّف الأيام من آلامه وغدا من بعضها مُنشحبا
يُنشدُ الأشعار دوماً قائلًا ليت هذا البِشرَ لن ينقلبا

النفس الأبية

نفسَ الأبي تصبّري وأنيبي فالعيش لا يصفو لغير رقيب
وتجلـّدي في الحادثات وأنشدي طِيبَ الخِصالِ وودّ كل أديب
وابني بناء المخلصين وشيّدي ذكراً يدوم على دوام عسيب[1]

* * *

١ – العسيب : الجبل .

لله أيّامٌ نعِمتُ بقربها		في ظلّ شهم أو إخاء أريب
وشفيتُ غِلّ النّفس من أخلاقه		ونهلتُ منه مُدامة التّجنيب
وحسبتُ أنّ الدّهر ليس بفجعي		يوماً بخَطْبٍ أو بفقد قريب
حتى إذا حان النّوى وبعادُهمْ		ألفيتني فرداً بغير حبيب

* * *

أنا مَن يعزُّ عليه أنْ يرَ قومَهُ		متحزّبين لسيّد وحسيب
أنا من يعيش وحظهُ متفرّقٌ		بين العَذول وبين كلّ رقيب
يا ليتَ شعري مايصيب مواطني		ويصيبُ قوماً حلّلوا تعذيبي
هيهات أتركَ ما عشقت وإن أمت		فيه فنِعْمَ عقوبتي ونصيبي

* * *

أَخُلاصةَ الأفراد إنّ بلادكم		تشكو من التّفريق والتّحزيب
ونخاف أن يمضي الزمان وكلّنا		في اللّهو والتّحبيب والتّرغيب
هيّا إلى عمل الصلاح فإنّنا		في موقف حرج النّتاج عصيب
وتبيّنوا نهج الفلاح فإننا		نخشى من التفريق والتحزيب
فلربما نهض المهيض بقُدْرة الـ		له الكريم وليس ذا بعجيب

عبدالله الطيّب

ولد بالتميراب غربي « الدّامر » عام ١٩٢١ م .

تعلم في مدرسة « بربر » أولاً . وبعد أن أكمل دراسته الثانوية والعليا رحل الى انكلترة في طلب العلم . فدرس في جامعاتها ونال درجة الدكتوراه ، وتزوج فتاة انكليزية، ثم عاد الى بلاده وصار الى جامعة الخرطوم .

للدكتور الطيّب ديوانُ شعر صدر بالخرطوم ١٩٥٧ اسمه « أصداء النيل » مقسم الى خمسة أبواب : الباب الأول (المقطوعات الجادّة) وهي تضم بعض أشجان نفسه ، وذكرياته، وإحساسه بالوحشة ، وسخطه على قومه وتباهيه عليهم، وتغنيه بشعره ومِقْوله « الصّلت » وخرائده المحصنات ... والباب الثاني (المقطوعات المتنوّعة) وهي تضم الهزجيّات والرجزيات ... والباب الثالث (المسمّطات) وقد أطلق هذه الكلمة على القصائد المتنوعة القوافي من مزدوج وغيره . والباب الرابع (القصائد) وتضمّ أشعار المناسبات وبعض قصائد نبويّة وأشعار الرثاء . والباب الخامس (القصص) وقد نظمها لاطفال المدارس عن السّندباد وعمرو بن يربوع والسّعلاة (انثى الغول) وعفاف القس .

حاول الدكتور الطيب — على حدّ تعبيره — من صنوف النظم أصنافاً ، منها المرسل الذي لا قوافي فيه ، والملحمة ، وتعدّى الأوزان المألوفة الى أشياء اصطنعها اصطناعاً تأثّرا بما قرأ عند الفرنجة . ثم بدا له أن هذا كلّه عبَث لا يفصح بعواصف النفس وزوابعها . « وإنما النفس بنت البيئة وبيئتي العربية الفصيحة تسير على النحو الذي نرى من أوزان الخليل وتخيّر المطالع والمقاطع ، لا كهذا العبث الفارغ الذي تقذى العيون به وتسوء القلوب ويزعم له الزاعمون أنه فن حديث ». لهذا انصرف عنه وجرى لسانه بالغريب لأنه وجد لغة اليوم خالية من

اللفظة المعبرة ، ضئيلة الموسوعة ضآلة مؤسفة ، فأحب تزويدها بما يزيدها غنى ويكسبها قوة على الإفصاح . ولكنه لم يتجاوز بما أغرب فيه نهج القصيدة العربية كما ثبت أركانها أبو الطيّب وأبو تمّام والذين بعدهم إلى شوقي !!

كيف ؟

كيفَ ينامُ الليلَ مَن قلبُه — بات رهيناً لك لا يُرسَلُ
يَطرقُ أبوابَ الكرى مُلحفاً — إذ كلُّ بابٍ دونهُ مُقفَلُ
يخالطُ الناسَ فما يَذْهَلُ — ويشربُ الخمرَ فما يثمَلُ
يَبوحُ بالأسرارِ عجزاً عن الصَّبرِ وكِتمانٌ لها أجمَلُ
صدىً الى حُبِّكِ لا يشتفي — حتى ولا مِنكِ فهل ينهلُ
منهلَ ودٍّ لك إن لم يَرِد — منه فوادي عيشه ممحِلُ
إنيَ أُصفيكِ الهوىَ كلَّهُ — لا أصبِنُ الكأسَ ولا أبخلُ[1]
عاطيتِني أنتِ ، فأثملتِني — سُلافةَ الحُبِّ التي تقتل
أقسمتُ باللهِ وآلائه — وما حوى مُحكمَهُ المنزَلَ
لنظرةٌ مِنكِ وإقبالةٌ — من الحياة كلِّها أفضَلُ

النيــل

(عيش الريف) *

شوَينا السُّنبُلَ النَّضْر — على الجمرِ على الجمرِ
عليه حلّةٌ خضرا — ءُ فيها خَمَلٌ تِبري[2]
تذيبُ النارُ أعلاه — وفي أطرافه تسري
وتلك الحبّةُ السمرا — ءُ تنشَقُّ من الذُّعر
ويَغشى جانبيها عَـ — رقٌ ليس بذي قطرِ

---

١ — صَبَنَ الشيء : مَنَعه وصرفه عنه . ٢ — تبرى : أي مثل التبر .

* يسمّي أهل السودان الذره الشامية : عيش الريف . ويعنون بالريف مصر .

ويُلفى جانبٌ يُكشَـ ف والآخر في سِترِ
إذا نحـــن سلبناه أرانا خجَلَ البكر
وراحت بينَهُ أسْنا نُنا تلقُطُ أو تَفري
وغادرنا رُفــاتا منـ ـه لا يصلحُ للنَّشْر
ألا يا حبّذا النيلُ الخصيبُ العيش من نهر
وذاك السُّنبل الرّاعِشُ فيه نفَسُ الفجر
ونطوي شُقّةَ العيشِ مَسُوقـــين ولا ندري

رنـا قلبي

رنا قلبي الى روضٍ عزيبٍ وغابات كأستارِ الغيوب [1]
ويوم باسِمٍ طلقٍ دفيءٍ كمَضجع مُوسرٍ غضٌّ رحيب
فنستلقي على الأعشاب نحسَو بهمْسِ الحبّ تلهيةَ الحبيبِ
ويشجينا من الجذافِ لحنٌ يئنُّ كأنه شكوى النسيب [2]
رَنا قلبي الى ليلى وتاقت إليها النَّفسُ من بونٍ عزيب
وليلى كالصَّباح سرت إليهِ ظلالُ الليل في الشَّفق الخضيب
وليلى كالأصيل دنا فوَشَّى طوالَ النخل بالنِّيل الخصيب
تطيل الصَّمتَ يغمُرها حياءٌ كلون الخمر في الكأس الطروب
وليلى لا يكون لها حديثٌ سوى النَّغمِ الحبيب الى القلوب
لها عقدٌ من الذهب المصفَّى مُحلَّى بالمسيح وبالصَّليب
يشعُّ بنورهِ نوراً عليهـــا ويكسو الحسنَ بالدّين الرهيب
وهل أنسى حياتيَ إذ تهادت بقرب (المال) كالأمل القريب [3]
تلقّاهـــا بهاءُ النور يُضفي عليها كلَّ سحرٍ مستجيب
تصيرُ بنفسجاً وتصيرُ ورداً وتغفو والجمالُ يقول تُوبي

---

١ – عزيب : بعيد .   ٢ – يعني النسيب الذي في الشعر لا النسيب بمعنى القريب في النسب.
٣ – المال : موضع .

حمزه الملك طنبل

رائد من روّاد الأدب الرومنطيقي في السودان .

ظهر على مسرح الحياة الأدبية عام ١٩٢٧ حين كتب فصوله النقدية « الأدب السوداني » ، ففتح أعين الناس على بوار الشعر التقليدي ، ووجّه أنظارهم إلى أدب سوداني جديد مستمدّ من حياة الشاعر ، ومنبثق من بيئته وطبيعة أرضه .

ثم جاء عام ١٩٣١ فنشر مجموعة شعرية باسم « الطّبيعة » كانت تطبيقاً لآرائه في النّقد ، فتخلّص الشّعر على يديه من بعض عيوب الطّريقة القديمة كالتّخميس ، والتّشطير ، ومعارضة القصائد ، والاحتفال بالمطالع التقليديّة ، واتّجه نحو وحدة الموضوع ، وجعَل همّهُ المعنى لا المبنى ، وعبّر عن تجارب الشاعر ، ورسم بعض ملامح من بيئته، فكان شيئاً جديداً في موضوعاته . وأمّا في الأسلوب فلم يُحدِثْ شيئاً جديداً إلا في حدود الألفاظ ، وتغليب الأوزان الطّويلة المنبسطة .

تأثر طنبل بمذهب النّاقد الانكليزي « أرنولد » القائل : « إنّ الفكرة في الشعر هي جوهره وهي فيه كلّ شيء » ، فجاء شعره متأمّلًا متعقلًا أقربَ الى الاسلوب المحلّل منه الى الاسلوب الفني المعبّر .

شيخوخة شجرة

ذهَبَ الشَّبابُ فأطرَقتْ إطراقَ شيخ يائسِ
قد ودّع الدنيا وما فيها بوجـــه عابس
صمتت ورُبَّةَ صامتٍ يُسديك وعظ النّابس
ليست كسابق عهدها تزهو بفرع مائس
ومواكبٌ للطّيرِ مثلُ ... مواكبٍ لعرائس
عكست لنا آياتها سبِّح بأسم العاكس
فالماءُ لا يُنْدي لها عوداً به كالقامس[1]
والشمس منعشة النبا ت غدت لها كالرّامس
وتكشّفت عن جزعها[2] رأس العجوز البائس
فإذا هزَزْتَ به رمَتْ بعقارب وخنافس
ولقد تروعُك في الظّلا م كماردٍ متقاعس
أو هيكلٍ نصَبوه من عَظْمٍ بوَسْط بسابس[3]
لم يبق من أوراقها ألا كظُفْرٍ يابس
فالرّيح إنْ هبّت تمـ رّ بها كمرّ الهاجس
شاخت وقد عاشت دهو را بعد موت الفارس
كانت يشوق جمالها عين الغزال الآنس
فغـــدا يروع جلالهـــا الضّافي فؤاد الفارس
وهي التي ستصير يو ماً ما نارَ القابس

في جوف الليل

مولايَ قد نامت عيونْ وتيقّظت أيضاً عيونْ

---

١ ــ قس الشيء : غمسه بالماء . ٢ - الجزع : القطع . ٣ ــ : البسابس : القفار .

نامت عيون الخائنين ... وعيون نجمك لا تخون
ترنو إلينا وهْيَ سا ... هيةٌ عن الدنيا الخؤون
أتراه أذهلها جـلا ... ل الله أم مرُّ القرون !
أم أنّ مَنْ فوق الثرى ... لا يسمعون ولا يعون ؟

ما بالُها سكنت رحى ... حربٍ شَهدناها زَبون [1]
حرب يؤجّج نارها الـ ... نّـاس اللئام الظّـالمون
يتطاحن الغُرَباءُ في ... ساحاتها والأقربون
يتطاحن الصّنّاع والتّجّارُ والمستخـدمون
يتطاحن الاخوان والآباء فيهـا والبنون !
يتطاحنون وأنت تعرف فيمَ هم يتطاحنون
ما همّهمْ غير البطون ... أهونْ به مَلءُ البطون
سكنوا جميعاً والحرا ... ك وإن يطلْ فالى السكون
قـد بيّتوهـا للصّبا ... ح فهل تراهم يصبحون
يا ليت من جهـلوا الحقيقة بالحقيقة يحلمون
آمنت أنّا في السّرا ... ب وفي الجهالة سابحون
كم آيةٍ كالشّمس بتْـ ... نا عن سناها معرضين
من ذا يرى هذا الجلا ... ل ولا يذلّ ولا يهون ؟
من ذا يرى حِصْن السما ... ء وليس يحتقر الحصون ؟
من ذا يرى هذا السّكو ... ن وليس يذّكر المنون ؟
من ذا يرى هذا الظّلا ... م ولا تثورُ له شجون ؟
لا الطّيرُ صادحةٌ ولا ... بهرَتْ بنُضرتها الغصون

---

١ – الحرب الزبون : الشديدة .

لا السوح[1] آهلة ولا الأطفال ثمة يلعبون
خضعوا لسلطان الكرى واستسلموا لا يشعرون
يا ويح قلب كلُّ ذكـ رى فيه محدثةٌ (طعون)
يا ويح نفسٍ منذ كا نت وهي ترسُفُ في سجون
آمنت أنّ الفرد فو ق الأرض أحقر ما يكون
مولايَ لو خيّرتني لاخترتُ أني لا أكون
إنّ الذين رحمتهم ما بالُهم لا يرحمون ؟!
إنّ الظلام الحقّ لهْوَ ظلامُ مَن لا يفقهون
هذا لحقٌّ مثلما أنّ الخلائق ينطقون

الأصوات والصور

رُبّ لحنٍ سرى مع النّسماتِ قد جرَتْ من رنينه عبراتي
وكلامٍ سمعتُه من حبيب سحَرَ القلب منه بالنبرات
رُبّ (موسيقةٍ) سرت من جماد أنعشت مهجتي وأحيت مواتي
هل تمشّت بها الحياة فجادت بحياة تسرّبت لحياتي ؟
إنّ بعض الألحان والنّغمات قد أرتني الأكوان متّسعات
رُبّ صوت سمعتُه من بعيد دلّني وقعُه على الحركات !
ومغَنٍّ سمعتُه في (الفنُغْرا ف) تصوّرتُ ما له من صفات
قد تبيّنتُ أنّ للأصواتِ صلةً في الخفاء بالكائنات
كمعانٍ تلوح في البسَماتِ وكلامٍ يقال بالنّظرات
كم جنا سمعيَ الحديدُ لفكري صوراً صاغها من الأصوات !
كيف تستعرض الخواطر شكلا ضمن ما للهواء من موجات ؟!

---

[1] – السوح : جمع ساحة .

أترى كوننا وما قد حواه   وحدَه رغم ما بدا من شتات
سلكتها جميعاً في زمام   منذ خلق الوجود أقدرُ ذات
ثمّ قد كان كالدّليل على الله   اختلافُ الألوان واللّهجات ؟

سام قاتل

سئمت نفسي الحياة وملّت   وكذا الحرُّ في زمانيَ يسأمْ
لا أرى أينما أُقلّبُ وجهي   غيرَ قيدٍ من النفاق تحكّم
ووجوهٍ سحقاً لها من وجوهٍ   ورؤوسٍ أحرى بها أن تُهشّم
وأناسٍ ما بين غرٍّ جهول   وسفيهٍ على الكرام تهجّم
وحفاةٍ من الورى وجياعٍ   ليس في الناس من يرقّ ويرحم
إنّ شرّ الدّوابِ من لا يَفهم   والذي لا يرى الأصمّ الأبكم
هو حالٌ أرادَه الله للنّا   س لأمرٍ به المهيمن أعلم
لا رجاءٌ في من (تفرنج) منّا   لا ولا في أخي القديم المعمّم
طال تمثيلُنا الشقاءَ على الأر   ض فحتى متى الرواية تختم
ومتى تسدَلُ السّتارة والأر   ض بمن فوق سطحها تتحطم ؟!

الامتزاج الروحي

أراها فتشتبك المقلتا   ن وتنتعش الروح بالنّظرةِ
ونسكرُ لا سكرة الشّاربيـ   ـن ولكنّها سكرة الحيرة
فتنعمُ أعيُنُنا بالكلا   م وأفواهنا دونَه كُمّتِ
يُترجِمُ عن حالها طَرفُها   وطَرفي يترجم عن حالتي
وإن لامستْ شفتي ثغرَها   رأينا العجائب في القُبلةِ
تكادُ لشدّة أشواقِنا   تلابسُ مهجتها مهجتي

أَحِنُّ إذا ابتعدت لحظةً وإن غبْتُ عن عينها حنّتِ
حنين النفوس الى بعضها وليسَ حنيناً إلى شهوة
أَطيلُ إلى حسنها نظرتي فتصبْو الى رشفه مقلتي
فواعجبي كيف أنّ التّداني يزيد على حُسنها لهفتي
وواعجبي كيف يُضْحي السر ورُ مزيجاً من الوجد واللوعة
فيا مَن سكرتم بخمر الدّنا نِ هنالك سكرٌ بلا خمرة

جبل على الشاطىء بدنقلة

قائمٌ فوق شاطىءِ النهرِ ذاهلٌ عن حوادث الدّهرِ
ملاقياً ليلهُ بلا ذُعرِ ملاقياً صُبْحَهُ بلا بِشْر
مُطرقٌ إن تراه تحسَبُهُ يَهُمُّ بالنطق وهو من صخرِ
ككتلةٍ من دجىً إذا اعتكر اللّيلُ وكالعِهْن[1] في ضيا البدر
واتّصلتْ بالسّماء قمّتُهُ ودونها عزٌّ مطلبُ الطيرِ
تلتفُّ أشجارُه وقد قصُرَت من حوله كالجنود في الأسْر
كأنّه قد أقام محتفظاً برمال تلوح كالتّبرِ
مُخلّدٌ في مكانه أبداً برغم كرّ القرون والفَرّ
ولو دَهتهُ الحياة آونةً لقصّرتْ منه فسحَةَ العمرِ

الألوان

إنّ في الألوان أسـ ـرارا دراها من شَعَرْ
فهي للعينين لذّاتٌ كبارٌ وقُرَرْ

---

1 – العِهن : الصوف .

وهي في القلبِ وفي النّفس لها أجدى أثر
فليكن منها علاجٌ مستديمٌ للبشر
فهيَ تشفي من همومٍ قاتلات وفِكَرْ
ولكم جاء سَقامٌ من ملالٍ وضجر
وهي كالخمرة نحـ سوها ولكن بالنّظر
تملأ النّفس سرو راً لا يُشاب بكدَر
إنّ مِنْ تأثيرها كان افتتاني بالصور
وامتياز الماس والجـوهر عن باقي الحجَر
ولها بعض مزا يا خفيت عنّا أُخَر
لم نكنْ لولا اخضرا ر النّبْتِ نصبو للشجر
ثمّ لولا بهجة الـ أزهار لم نهوَ الزّهَرْ
كم فتنّا بنقوشٍ فاتناتٍ وغُرَر
لا يرى كلّ جمالٍ ظاهرٍ كلُّ بصر
غير أنّ اللّوْنَ لو لا الضّوءُ ما كان ظهر
أترى لولا سنا البدر أتُتنسنا بالقمر ؟
لاحظوا ما يعتري النّفس إذا الليل اعتكر
ثمّ ما يحدث في النّفس إذا الضوء انتشر
واشكروا الله الذي عن ذاته النور صدر
فهو نورٌ في السما وات وفي الأرض بُهَر

يوسف مصطفى التني

ولد بمدينة أمّ دُرْمان ١٩٠٩ م .

تلقّى دروسه في كليّة «غردون»، وتخرّج من قسم الهندسة عام ١٩٣٠ .

عمل مهندساً في مصلحة الأشغال العمومية . وزاول الصّحافة فكان سكرتير تحرير مجلة « الفجر » .

شارك في الحركة السياسية الاستقلاليّة ، وكان أحد أعضاء وفد السودان الأول وعضواً بمجلس إدارة حزب الأُمّة .

التحق أخيراً بالسّلك الدبلوماسي ، وعُيّن أول سفير لجمهورية السودان في القاهرة .

نشر قصائده الأولى في الفجر والنهضة بين سنة ١٩٣١ و ١٩٣٥ . ثمّ طبعها في ديوان سمّاه «الصدى الأول» ١٩٣٨ . وفي سنة ١٩٥٥ أعاد طبعه في القاهرة ضامّاً اليه ديوانه الثاني « السرائر » وسمّاهما معاً « ديوان التّنّي » .

يقسم ديوان التّنّي قسمين : أحدهما متأثر بالمدرسة الكلاسيكية المقلّدة مدرسة شوقي وحافظ . والثاني متأثر بالمدرسة المجدّدة وخصوصاً بالعقّاد الذي يسميه الاستاذ الأول .

أما في القسم الأول فيكاد يحافظ على التقاليد القديمة كاملة في رثائه وفخره وهجائه موضوعاً وشكلًا . ويعبر في وطنياته عن النزعة الشرقية والشعور القومي السوداني الصميم . وأما في القسم الثاني فيثبتُ تأمّلاته الوجدانية وقصائده الفلسفية ووصفه للطبيعة وتغنّيه بأغاني الحب وشوقه الى عالم من مُثُلٍ وأطياف . كلّ ذلك في أسلوب لا يخرج عن حدود القديم إلا في بعض الألفاظ . ويُؤخَذُ على عبارته أنها تعجز عن تأدية التجربة الشعورية وتصويرها ، لافتقارها الى اللّون وخلوّها من عنصري الخيال والموسيقى . كما يؤخذ عليه بعضُ الأبيات المختلّة الوزن .

وطني

وطني ! شَقيت بشيبه وشبابه — زَمَنٌ سقاكَ السّمَّ من أكوابه
قد أسلموكَ إلى الخراب ضحيّةً — واليومَ، هل طربوا لصوت غرابه؟
وطني تنازعَهُ التحزّب والهوى — هذا يكيدُ له وذاك طغى به
ولقدْ يعاني من جفا أبنائه — فوقَ الذي عاناه من أغرابه
بالأمس كانوا وحدَةً فتفرّقتْ — فسطا المغيرُ بظفره وبنابه
واليومَ هم شِيَعٌ تنافسُ بعضَها — في رِقّها لمسوّدٍ أوْ نابه
حتى الذي نزفَ الدّماء مسخّراً — كالطّير حفّوا خشّعاً بركابه
كم أوهمَ الدّهماءُ فيه فأمّلوا — في العالم الثاني جزيلَ ثوابه
ومشت زرافات الحجيج لبابه — فكأنّما البيت الحرامُ ببابه
وطني يعيثُ به العدوُّ ولا ترى — من دافعٍ عن حوضه ورحابه
وإذا انبرى ليذودَ عن سودانه — ألبارعُ المقدامُ من كتّابه ...
لم يعْدَمِ الشّرُّ الدّخيلُ جماعةً — لترتّلَ الأمداحَ في محرابه
وطني أُصيبَ بمعْشَرٍ آواهمو — وأظلّهم فسعَوْا ليوم خرابه
لو طُهّرَ السودان من دخلائه — لتطهّرَ السودان من أوشابه [1]
لهفي على السودان من دخلائه — لهفي على السودان من أحزابه !

صلاة الفيلسوف

كيف أشفي بالله منكَ غليلي — فاضَ حبي وحارَ فيك دليلي
حكمةٌ أنت ما ترشّفتُ منها — رشفةً لم تزد جموحَ ميولي
أو تمليّتُ من سناك جديداً — لم يحبّبْ في المبهَم المجهول
فتراني وإنْ غنمتُ جزيلاً — منك لا أكتفي ولو بجزيل

---

١ – الأوشاب : أخلاط الناس وأوباشهم .

وتراني أرى خطيرَ وُلوعي ... بكَ يا آسري أقلَّ قليل
أو تعمّقتُ في هواكَ بعيداً ... خِلتُ مثواي في الهوى بضحيل[1]

***

إنما أنتَ منتهى تفكيري ... ومدارُ السُّهوم والتّخييل[2]
وعزائي إذا نشدْتُ عزاءً ... وهنائي وفرحتي وشَمولي[3]
وحبيبي الذي يهذب نفسي ... والى الله والسماء دليـــلي

***

أنا أهواكَ لأجلِ ذاتك عفّاً ... عن مَرامٍ ووراءَ ذاكَ ذليلِ
وأضحّي لأجل ذاتك روحي ... وأنا غـــيرُ طامع ببديل
إنّ موتاً لأجل ذاتك خلدٌ ... أوراءَ الخلود من مأمول ؟!

عبوس

إعبسي لي، ففي العبوس ابتسامٌ ... لجمـالٍ منوّع البَسَمات
وادفعيني، ففي الصدود اقتراب ... من معاني جمالك الأشتات
إيه وادعي عليَّ دونَ حنان ... فدعاءُ عليَّ منك يُواتي

***

أعزوفـاً عن الجِنانِ لأني ... لا أنال الجنان دون تقاة[4] ؟
أغناءً عن الخلود أكيداً ... إن يكنْ مهْيعي[5] إليه مماتي ؟
أأعاف النّعيم لو يتبدّى ... في لبوس النُّحوس والحسرات؟

***

---

١ – الضحيل : قليل الماء . ٢ – السهوم : تغير اللون من الهزال . ٣ – الشمول : الخمر . ٤ – التقاة : التقوى . ٥ – المهيع : الطريق .

قد عهِدْتُ الجمال أنفذ سحراً وهو سرٌّ عنه الشفوف تشفُّ
شوّق الناسَ للبدور غيابٌ وغمامٌ على الضياء يرفّ
والورود الورود مطمع نفسي وهْيَ بالشائك الأثيم تحفّ

***

مرحباً بالعبوس فهو ضياء قد جلا لي محاسن القَسَماتِ
مرحباً بالدُّعا تُشابهُ فيه أنةَ العود رنّةُ الكلمات
أنا أعطي لكي أنال كثيراً وأصفّي من الأسى فرَحاتي

***

فاعبسي لي، ففي العبوس ابتسام لجمال منوّع البسمات
وادفعيني، ففي الصدود اقتراب من معاني جمالك الأشتات
إيه وادعي عليَّ دون حنان فدعاء عليَّ منك يواتي

أمل الغد

أملَ الغد الزاهي ! بأي وسيلة أرقى إليكَ بعرشك المتسامي ؟
فلأنتَ كالأجرام تسبح مُبعِداً مَن لي بنيْلِ مدارة الأجرام؟
أترعتَ عيني بالضياء ولم تزلْ عيني تقلّبُ في الضّياء الطامي
وغمرتَ نفسي بالجلال ولم تعد أبداً تفكّر في الفؤاد الظامي

***

أملَ الغد الزاهي، بعدتَ فما أنا أبداً أعيش مع الغد المترامي
يومي وأمسي لا أبالي ما هما .. ويهمني الآتي من الأيّام ..
أستبطيءُ الأيّام وهيَ طوائر .. فكأنني مستبطيء لحمامي ..

***

أملَ الغدالزّاهي، نسجتُ عوالماً وتخِذتُ لُحمتها من الأوهام

وهتكت أسداف[1] الزمان بخاطري فوجدتُ أرواح الغد البسّام
وأصبت قربك في الأماني والرؤى فأنا أعيش اليوم في أحلامي
أحيا مع الأطياف في أجوائها فأبيتُ منتصراً على آلامي

***

دنيايَ كم جادت على أبنائها بمرامهم وأبت ببعض مرامي
ومن الحقائق حظُّهم وحطامهم ومن الصّدى والآل[2] كان حطامي
وبرغم ما كاد الزمان ففي غدٍ سأفوز بالأمل البعيد السامي
ولسوف أتخذ الصّعابَ مطيّة إنّ الصعاب مطيّةُ المقدام !

أرجي[1]

أرّجي شعلةَ الفؤاد وجوري فلقد طال في الهدوء دثوري
طال عهدي بذا السكون وما تز هو حياتي بمثل هـذا الفتور
فخذيني لعالم الحبّ والشّ عر خذيني إلى النّعيم الأثير

***

أرّجي، أرّجي ، فما ثمّ أذكى للهيبي من باسمات الثُّغور ..
من ثنـايا يرفّ منها بريقٌ كرجاء الخلاص عند الأسير
أو من النَّظرة الحبيبة تنص بُّ انصباباً على خفايا الشعور

***

نحنُ في خلوة الغرام وما نخ شى رقيباً إلاّ رقيبَ الضّمير
وتبرّجتِ كالرّبيع على السّه ل وأسفرتِ كالصّباح المنير
فلنُقِم دولةَ الشّباب وما مثل هوانا أرى له من نصير ...

---

١ – الأسداف : الظلمات . ٢ – الآل : السراب . ٣ – أرج النار : أوقدها وأذكاها.

واسمعيني صدى فؤادك أسمِعْكِ صدى حائرٍ كئيب كسير

إنّ للعمر والصدور حقوقاً وعلينا قضاؤها للصّدور !

نحن في خَلْوةٍ لنُمتِع نفسينا بما هيّأ الهوى من أمور

أتملاّك ما أشاءُ وقلبي منك كالرّوض آهلٌ بالزهور

ثم لا أكتفي ، وما أنتِ حظي أنت حظٌّ لآخرٍ مهجور ...

فبودّي لو أحتويك بصدري حيث لا تجتليك عينُ بصير

وبودّي واللهِ ما لستُ أدري رَحِمَ اللهُ كلَّ صبٍّ غيور !

راقصة ...

أين يا أنتِ لعينيَّ الكليله ؟ أين شاديك ونغماتٌ جميله ؟

كلّما يهدِلُ باللّحن مُرِنّاً رجّع اللّيلُ مع العود هديلهْ

فتجلّيتِ على الحَلبة[1] مثل البدر جَلواء صقيله

وتثنّتْ منك للعود على الإيقاع أعْطافٌ مثيله

وتدافعتِ كموج البحر أو كالنّهر إذ سال مسيله

وترجرجْتِ إلى أنْ زلز لت أفئدة القوم وجيلهْ[2]

كم شهدنا لك في الكرّ وفي الفرّ أعاجيبَ أفانينَ أصيله

لم تدع للنّهد الريّان غيرَ الرفّ والخلجانِ حيلهْ

فإذا ما شُده النّاسُ ترفّقتِ فأسبلتِ مآقيك الكحيله

وتراجعتِ إلى الصّدر وقد كللّك الاعجاب بالغار، خجوله

***

صوَرٌ منك طبعناها على القلب وصَفْحات المخيله

---

١ – الحلبة : ميدان الرقص . ٢ – وجيلة : وجلة أي خائفة .

كلّما يعرضها الحرمان صحنا — أين يا أنت لعينيّ الكليله ؟
أين شاديك وناديك وأين — العطر والسّتر لآهاتي الطويله

الأنشودة الحزينة

ذهبَ البِشْرُ اللعوبُ — وحلا الحزن الرهيبُ
فاعذروني يا صحابي — كم نأى عني حبيب ؟

***

آسري الساحرُ من حبي — وللسحرِ ضُروب ...
قد جفا النيلَ فما النيلُ — ولا الرّوض يطيب
وارتضى نَجْدا جديبا — فزها النّجد الجديبُ
أترى يرجع لي يو — ماً فيحيي ويذيب ؟
ساحرُ البسمة مغرٍ — بارعُ الصّوت لَعوب
كلّما استُنشِدَ غنّى — وهو جذلانُ طروب:
« لو يغيب البدر عنّا — فعن البدر أنوب »
غاب يا أنسيَ بدري — أكذا أنت تغيب ؟!

***

والصّبا النّاعم في شخـ — ـص حبيب لا يثيب ..
غاب عني مثلمـــا ينـ — ـسلخ البرق الخَلوب
وأنا نهْبُ كروب — لا تدانيها كروب
يُطمِـع القلبَ ولو يسأل — رِفداً لا يجيب

وهو رغم الصدّ لو تعلمُ موموقٌ حبيب [1] !
نغّم الضحكة منه فأبى الرُّشدُ يثوب
كلّما قطّع منها قطّعتْ منّا قلوب
كلّما موّج فيها في ثنيّاها أغيب [2] !

***

وحبيبٍ لم تزل لي في تجنّيه خطوب
طار للنّور وخلاّني على النور أذوب
ساكنَ النّجم ! أمالي لك في النجم وُثوب؟
ساكنَ النجم ، أغثني أنا في الأرض غريب
وفؤادي، صُن فؤادي، فهو في الرّكب قريب
طار للنُّور وخلاني على النور أذوب !

***

أيها المنكر حزني فاتكَ الرأيُ المصيبُ
ذاك ترياقُ فؤادٍ كم نأى عنه حبيب



١ — الموموق : المحبوب .
٢ — الثني : سن في مقدم الفم .

التجاني يوسف بشير

شاعر الرومنطيقية الأول في الأدب السوداني المعاصر .

ولد في أمّ درمان ، عام ١٩١٢، من أسرة دينية تنتمي الى الطريقة التجّانيّة الصّوفية . تلقّى دروسه الأولى في خَلوة الكِتيابي والمعهد العلمي . وكانت تربيته تربية دينية محافظة، قوامُها الصّرامة والتزمّت، وكبت العواطف والضّغط . إلا أنه ما لبث أن اطّلع على الأدب الجديد في المهجر ، والأدب الجديد في مصر ، والأدب الغربي المترجم الى اللّسان العربي ، فثار على واقعه الذي كان يعاني فيه غُصَصَ الفقر ، وضعف الصحة، وشتى ألوان الحرمان . وتاق الى السفر الى مصر من أجل طلب العلم، لكنّ الاستعمار حال بينه وبين السفر إليها، بما وضعه دونه ودون أمثاله من الشباب من عراقيل لم تتح لهم الخروج من ذلك السّور الذي سوّرت به بلادهم يومذاك، فأصيب بخيبة أمل مريرة، وعاش مريضاً بداء الصّدر. ثم مات مسلولاً عام ١٩٣٧ في الخامسة والعشرين من عمره . فكانت حياته القصيرة المفجعة صورة عن حياة بلاده الرهيبة الدامية .

لكنّ التجاني، برغم حياته القصيرة هذه، ترك لنا ديواناً شعرياً سماه «إشراقة» هو صورة لحياة هذا الشاعر المضطربة بمختلف مراحلها . صوّر فيه عالم صباه ودنيا أحلامه . والتفت الى الواقع فصوّر جوانب من بيئته ، وعكس فساد الأوضاع، وتبرّمه بأحوالها، وسخطه على الدهر ، وقلقه الديني وموقفه الحائر بين الشك واليقين، وآلام نفسه المضنية، وانسحابه من الحياة الى عالم التصوّف والوجدان، ينفّس فيه عن حرمانه، ويجد ريّاً لظمئه في مساب الندى، ونهر الضّوء ، وعذوبة الاشراق .. كل ذلك بأسلوب جمع إلى متانة الأقدمين رقّة المجدّدين وأضاف إليه من روحه فجاء مطبوعاً بطابعه ، متصلاً بينابيع الالهام الصّادقة في نفسه، ممّا

يدل على الملكة الشعرية الأصيلة التي كان يتحلّى هذا الشاعر بها ، والتي جعلت الشعر يقفز على يديه الى التناسق الموضوعي، والوحدة الشعورية ، والمعنى المجسّم، والتعبير الرّفاف الموحي، والبساطة العميقة، فاعتبر بذلك زعيم الشعر الرومنطيقي السوداني ، وظهر له أتباع ومريدون اندفعوا على وقع نغماته .. وظلت ثورته في كل نفس بالسودان حتى اليوم . وكان في بعض شعره ممهِّداً للشعر الواقعي الحديث .

طفل الخَلوة

هبّ من نومه يدغدغ عينيه مُشيحاً بوجهه في الصَّباح
ساخطاً يلعن السماءَ وما في الأرض من عالم ومن أشباح
حنقتْ نفسُه وضاقت به الحيلة واهتاجه بغيض الرّواح
وأهابت به الظلال وقد نُشّرْنَ في جَلوة القرى والبطاح
ومشى بارماً يدفّع رجليه ويبكي بقلبه المُلتاح[1]
ضمّخت ثوبَه الدواةُ وروّت رأسَه من عبيرها الفيّاح
ورمى نظرة الى شيخه الجبّار مستبطناً خفيّ المناحي
نظرة فسّرت منازع عينيه ونمّت عمّا به من جراح

• • •

ونفوس سجى الكرى في حواشيها ودبّ الفتور في الأرواح
فارْجَحنّت مُهوِّماتٍ وما تبرحُ مركوزةً على الألواح[2]
كلما لفّها النُّعاسُ وأضفى فوقها عالماً نديّ الجناح
قصف الرّعدُ في المكان ودوّى مُرْزِ ما صاخبا قويّ الصياح[3]
فاستفاقت وهينمت بعض أشياءَ وعادت وعاد قصف الرّياح

---

١ — الملتاح : المتغير من الشمس أو من السفر .
٢ — ارجحنت : اهتزت .
٣ — هوّم : هز رأسه من النعاس .
٤ — أرزم الرعد : اشتد صوته .

نعيم الحب

إنّ لي من وراء عينيك هاتين مصلّى ، وفيها لي مُخدَعْ
فيها لوعةُ القلوب ونُعماها ، وكم فيها حديث مُوقَّع
نفَسٌ هائم يصعّده الحبُّ نديّاً ، كأنما هو مدمَع
مرَّ بي عابراً، فأوردْتهُ نَفْساً أصابت من سحر عينيك مشرع
فيه من لوعتي أحاديث يغلي في حواشيّها فؤاد مفزَّع

الصوفي المعذب

الوجود الحق ما أوسع في النّفس مداه
والسكون المحض ما أوثق بالروح عُراه
كلُّ ما في الكون يمشي في حناياه الإله
هذه النّملة في رقّتها رَجْعُ صداهْ
هو يحيا في حواشيها وتحيا في ثراه
وهيَ إنْ أسلمتِ الرّوحَ تلقّتها يداه
لم تمت فيها حياة الله إنْ كنتَ تراه

الخرطوم

مدينة كالزهرة المونقهْ — تنفح بالطيب على قُطرها
ضفافها السّحريّة المورقه — يخفق قلب النيل في صدرها
تحسبها أُغنية مُطرقه — نغّمها الحسْنُ على نهرها
مُبهمةٌ أَلحانُها مُطلقه — رجّعها الصّيدَحُ من طيرها
وشمسها الخمرية المشرقه — تفرغُ كأسَ الضّوء في بدرها

فجر في الصحراء

إملأ الروحَ من سناً قُدُسيّ — مبهمٍ كالرّؤى وديع رضيّ

قمريٍّ كأنما سَكَبَ البدْ رُ عليه من فيضه القمريّ
واغمر القلب في مُفاضٍ من الفجـ ر وضيءٍ جمّ النّدى عبقريّ
يثبُ الحلم حول مَشرعه السَّا جي ويجري مع الضحى في أتيّ[1]
كم تظلُّ الرؤى به شارعاتٍ في ينابيعَ من جلالٍ نديّ
يتلفّفنَ في جوانحَ بيضاءَ ويَسحبنَ من رداءٍ وضيّ
ويحوّمْنَ سوّماً[2] باسماتٍ يتخففْنَ من هموم العشيّ
ساحباتٍ على الكنهْوَر[3] أصبا غاً رقاقاً من واضح وخفي
ناسجاتٍ شفائف الأفُقِ الزّا هي بروداً على الصباح السّنيّ
ذاب في الأفق رافقاً فوق هام البيد يهمي على ثرىً بدوي
يغسلُ النوم من مضاجع رعيا نِ الصحاري ومضرب القرويّ

عجب للجلال والحسن ما جا في إطارين فاترٍ وقويّ
ينسجان الهوى من الفجر بُرداً علويًّا لشاعر علويّ
صاح من روحه وكبَّر في أعماق دنياه صارخاً كالصبيّ
أفهذا الجمال يا ربّ، هذا السحْرُ من أجل ذلك الآدميّ ؟

جزيرة توتي في الصباح

يا دُرّةً حفّها الليـل واحتواها البرُّ
صحا الدجى وتغشّاك في الأسَرّة فجر
وصاح بين الرُّبا الغُرّ عبقريٌّ أغرّ
وطاف حولك ركبٌ من الكراكي[4] أغرُّ
وراح ينفض عينيه من بني الأيك حرّ
فماج بالأيك عشٌّ وقام في العشّ ديرُ

١ – الأتي : السيل الذي لا يرده شيء . ٢ – سام الطير على الشيء : حام عليه .
٣ – الكنهور : اسم موضع . ٤ – الكراكي : طيور .

كم ذا تمازج فنٌّ على يديك وسِحْرُ
يخور ثور وتثغو شاةٌ وتنهق حُمْرُ
والبَهْم تمرح والزّر عُ مُونِقٌ مُخْضَرٌّ
تجاوب الطّحْن والنّحـ ن والثُّغاءُ المُسِرٌّ
وهبَّ صوت النواعيـ ر وهَوْ في الشّجو مُرٌّ
إنّ الجِرارَ وقد ضا ق بالقليب الممرٌّ
تكسّرتْ وهي تهوي فما تلاءَمَ كسر
فتلك معصوبة الرأ س كم تنى وتخرٌّ
وتلك مرضى وهاتيـ ك للخواطر قبر
كم في المزارع قوم شمٌّ العرانين صُعْرٌ[1]
هبّوا سراعاً إليها وليس منها مفرٌّ
ذيّاك يعزق في العشـ ب جاهداً ما يَقِرٌّ
وذاك يعنيه حَرثٌ وذاك يعنيه بَذْرُ
وماج في الغَيْط نشء ملء النواظر خُزْرٌ[2]
هناك فولٌ وهذا ك في السنابل بُرٌّ
وما تعذّر شيء ولا تعسّر أمر
مشى الضُّحى وله بعـدُ في رباك مجرٌّ

الفقــير

مغداك في حجر الآباد مغداهُ وفوق دنياكَ في الأيام دنياه
أَطلّ من جبل الأحقاب محتملًا سِفرُ الحياة على مكدود سيماه

---

١ – صعر رأسه : صغُر . ٢ – خزر : جمع أخزر وهو من ضاقت عينه .

عاري المناكب في أعطافه خلق — من العطاف قضى إلا بقاياهُ
مشى على الجبل المرهوب جانبه — يكاد يلمس مهوى الأرض مرقاه
يدنو ويقربُ مُندكّ الذرّي أبداً — حتى رُمي بعظيم في حناياهُ
مُنبّأً من سماء الفكر، ممسكةٌ — على الرسالة يمناه ويسراهُ
أوفى على الأرض مأخوذاً وطاف بها — مشرّد النفس لا مالٌ ولا جاه
يطوي، ويظمأ حتى ما تبين على — ما فيه من حرُقات الجوع ساقاه
يستفسر النّاسُ ماذا عند عالِمِهم — وليس يعرف شيئاً من طواياهُ
هنا العدالة في أسمى معالمها — مُسَوّدٌ دميَتْ بالظلم كفّاه

بنفسيَ من هانَ حتى توا — ضَعَ في نفسه كلُّ معنى رفيع
مشى خاشع الطرف رثّ الثيا — ب كئيباً كثير مرائي الخنوع
تأكّلُه حسرةٌ في الضّمير — وتسحقه خيبةٌ في الضّلوع
يَبين عليه انكسار الفؤاد — ومسكنةُ المستَذَلّ الوضيع
وفي نفسه ظمأٌ للعطور — وفي روحه حرُقاتٌ وجوعْ
فيا آهةً ملءَ دنيا الفقير — ويا أنّةً ملءَ دنيا الوجيع
لأنتِ لدى الله اسمى وأنبلُ — في الأرض من بسمات الخليع

الصبي العابـــد

غاض إلاّ صُبابةً في ثنايا — غامضات وجفّ إلا بقايا
وانقضى واستردّ إلا ذماءً — في قُليبٍ أو نطفةً في روايا
بَردُ ذاك اليقين في طيب ذاك — المهدِ في نُبله وصدْق النّوايا
غاله من يديَّ مَن نازعتنيه — يداه فلم تُعِنّي يدايا
كنتُ بين الصّبا نعِمْتُ بإيما — نٍ رضيٍّ وأين عهدُ صبايا ؟
فسُلبتُ الهوى وعوجلتُ في النـ — ـور وقد كنت صادقاً في هدايا

تاه مني الصّبا وضلّت سنونٌ | بعدُ في منطق كثير القضايا
ومضى الشكُّ باليقين فللّه | فـؤادٌ تآكلته الرّزايا
يا صبياً كفّنتُهُ أمسِ مني | إلهيّ الضّمير عفّ الحنايا
قدُسيّ الرداء عفّ الجلابيب | حنيفاً مُنزّهاً من خطايا
أمطرت عهدَكَ السّماءُ وجادَتكَ أفاويقُ[1] رحمةٍ من رضايا

ودعت أمس يقيني

يا مظلم الرّوح كم تشقى على حُرَقٍ | مما يكابدُ منكَ القلب والرُّوحُ
هدىً بجنبك مذبوحٌ يحفّ بـه | في عالم الصّدر قلبٌ منك مذبوح
مضى بك العقل لم تسعدْ به أثراً | واعتادك الشكّ إذ ضاقت بك السُّوح
وَظلّتَ[2] في الأرض مأخوذاً فلا ظفرت
بك الدّيار ولا استولى بك اللُّوْح[3]
معلّقاً في يد الأيّام مطرّحاً | في هامش الغيب لا عيسى ولا نوح
ودّعتُ أمسِ يقيني في مودّأةٍ[4] | غبراء تعصف في أعماقها الرّيح
تكسّرتْ شمس دنيا القلب وانطفأت
في عالم الرُّوح من نفسي المصابيح
ويحي وويح الهدى المقبور ليس له | رجْعى وقد أوغلت فيّ التباريح
لا أعرف اليوم إلا أنّه لغدٍ | بابٌ تمرُّ على مغلاقه يوح[5]

النفس

نفسٌ تطايرُ كالشّعا | ع وتستحيل إلى حنينْ

---

١ – الافاويق : ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة .
٢ – ظلت : ظللت . ٣ – اللُّوح : العطش . ٤ – المودأة : المفازة . ٥ – يوح : من أسماء الشمس .

وتذوب وَجْداً في صَبا   بتها وتخفتُ كالأنينْ
وترفُّ في وَجْه الحيا   ة وبين طيّات السنين
فكأنّها الأمـل اللذيـ   ذُ مشى على القلب الحزينْ
سُبحانَكَ اللّهمَّ... نفـ   سٌ كلُّها عطف ولين
وترٌ من النّاي المقدّ   س من بقايا المرسلين
من قُدْس داجية الشعو   ر وطُهْر واضحة الجبين
من كل سِحرٍ في الوجو   د وساحرٍ في العالمين
من مهبط الروح العزيز   وعنصر الجسم المهين
صِيغَتْ فكانت حرّةً   أبداً على مرّ السنين
هي تلك نفسُ فتىً أقا   م بها على حَرَم الفنون

قطرات

قَطَراتٌ مِنَ النَّدى رقراقهْ   يَصْفُق البِشْرُ دونها والطّلاقَهْ
ضَمّنَتْها من بَهجة الورد أفوا   فٌ ومن زهرة القرنفل باقه
نثرت عقدها أصابعُ من نو   رٍ توسّلن خفة وأناقه
رُبّ وشْيٍ نمّقن في صفحة الور   د ونضّرنَ في الربى أنماقه
ومصابيح أسرجتها يدُ الشّمـ   س وضاءٍ في زهرة خفّاقه
يَتَقَطّرْن أنجما في أكاليـ   لَ من الزّهر أسرَجت أوراقه
وأفاق الضّحى عليها وقد روّ   تْ أزاهيرَه وندّتْ رواقه
تلكَ مَطْلولةٌ وهاتيك سكرى   من ندىً دافقٍ وخمر مُراقه
وهْيَ برّاقةُ الضّفاف ومَرْمو   قة بيض اللآلىء البرّاقه
نفضتها في الدهر أجنحة الأمـ   ـلاك تلك الرفّافةُ الصفّاقه
فأصابت في ما تصيب فتى نقّـ   ـرنَ أوتاره وهِجْن اعتلاقه
إنْ تردّتْ في غائرٍ من أمانيـ   ـه وندّتْ من الهوى أعراقه

واستقلّت بأصغريه فكم قوّ ... مْنَ أضعافه وأنهضْنَ ساقه

شاخصاً ما يزال يعزف ما شاء ... على مِزْهر الندى أشواقه

كلّما لجّ في الذّهول اطّباه[1] المِـ ... ـزهر الرّطبُ في يديه فشاقه

بعضُ أندائه فيوض من النّو ... ر ونَبْعٌ من قوّة خلّاقه

لفّها في الصبا وأضحى عليها ... عبقريّ المطارق الريّاقه

فهي دفْقٌ من عالمٍ كلّه قلـ ... ـبٌ خَفوق ولوعة خفّاقه

عالم الحسن والجمال ودنيا الحـ ... ـب والقلب وجده واشتياقه

يتحدّرْنَ من مفاجع أيّا ... مي ومهوى مدامعي الرقراقه

ويُرجّعْنَ من مفاتن دنيا ... يَ صدىً يزحم الهوى أبواقه

في مساب الندى وبين ذراعي ... زَهَراتِ الربى من الشّعر طاقه

أفلتت من هدى النواظر واسْتَذْ ... رَتْ[2] بصمت تلفّه إطراقه

جفّ من حولها الأريضُ ونام الـ ... ـعطر في مهده وأخلى مساقه

وهي ريّانةٌ تمدُّ قطافاً ... من جنىً كم ذا طعمت مذاقه

من دمي يستدرّها حرّ أنفا ... سي لهيباً أسْميته (إشراقه)

قطراتٌ من الصِّبا والشباب الـ ... ـغضّ منسابة به منساقه

ورِهامٌ[3] من روحيَ الهائم الولهان ... أمكنت في الزمان وثاقه

ظـلّ يهفو الى السماء ويشكو ... لوعة الروح ها هنا واحتراقه

يتحدّرن من معابد أيا ... مي حنيناً أسميته (إشراقه)

قطرات من التأمل حيرى ... مُطرقات على الدجى مِبراقه

يتوسّلنَ في جوانب آفا ... قي شعاعاً أسميته (اشراقه)

---

١ – اطباه : دعاه . ٢ – استذرى به : التجأ اليه ، استظل به . ٣ – أرض المكان : كثر عشبه وازدهى وحسُن في العين . ٤ – الرهام : المطر الخفيف الدائم .

طفـــل

تباركَ الذي خلَقْ — من مُضغَة ومن علَقْ[1]

سبحانَهُ مصوّراً — من حمأة الطّين حدَقْ[2]

شقّ الجفون السّودَ واستلّ — من الليـــل الفلَقْ[3]

واستخرج الانسان من — مَحْضِ رياءٍ وملَقْ!

بثّ القِوى فيه دماً — أحمرَ أو عظماً يقَقْ[4]

من عــدمٍ لعدم — ومن عناءٍ لرَهَقْ !

سبْحانَهُ كم ألهمَ — العقل جنوناً وحمَقْ !

يشُكُّ ما يحيـــا وإنْ — أشفى على الموت فرق !

وكم ــ تعـالى ــ عمِيَتْ — عنـــه قلوبُ من خلق

رمى بهـــذا الطفل في الأرض ومن ثَمَّ رزَقْ !

رمى به في موكب الد — نيـا مثـالاً للقلق !

يدير عينيه ويستفسر — عن سرّ الشّفق

كأنّه يصرخ أنّ — الموت بالشّمس علق

أو أنّه يعرف أنّ الضوء — في الأفـق اختنق

---

١ ــ المضغط : القطعة التي تمضغ من اللحم وغيره . علق : دم .

٢ ــ الحمأة : الطين الاسود . ٣ ــ الفلق : الصبح . ٤ ــ يقق : شديد البياض .

بعد التّجاني

بعد التّجاني ظهر شعراء عديدون [1] نخص منهم بالذّكر اثنين هما الدكتور محي الدين صابر وحسن عزت . وهما يمثّلان بشعرهما هـذا الاتجاه الرومنطيقي ويؤلّفان امتداداً لمدرسة التجاني ،وعلي محمود طه ، وابي القاسم الشابي .

في الربيع

للشاعر محيي الدين صابر

رفّ فجرّ تعثّر النور والعِطرُ عليه كأنّه مخمورُ
شَرِقتْ صفحتاه بالشّمس والظّلّ ، يغني نورٌ ويرقصْ نورُ
والأماني في أفْقه يتواثَبنَ كما خَفّ في الرُّبى عصفور
والأغاني في معبر النّسَم السارب همْسٌ مصبّغٌ مسحور
إنّه البَعث راجفاً ينفُضُ القيْدَ حياةً ، يمتدّ فيها الربيع !

. . .

وتندّت أَرضٌ وأرْعَشها الخِصْبُ ابتعاثاً كأنّهُ محمومُ
زَخَرت بالحياة وامتلأت دفئاً كما تحمِلُ السُّلاف الكروم
واستفاقت تُناغم الفجرَ فانداح حنينٌ في صدرها مكتوم
وسرى منْ فؤادها العاشق البكر حديث مُعَطّرٌ منغوم
إنّه البعث راجفاً ، ينفضُ القيد حياة ، يمتدّ فيها الرّبيع !

. . .

---

١ – أمثال سعد الدين فوزي ، مهدي الأمين ، حسن دراوي ، حسين بازرعه ، ادريس محمد جاع ، حسن طه ، اسحق الشريف ، مبارك المغربي ، محمد محمد علي .

وصحت حبّةٌ ودغدغ جفنيها ظلامٌ من حولها مَرْطوب
فاستجاشت تستلفت النّور فارفضّ خيالٌ في ذاتها مشبوب
واستطالت في الأُفق ، فهي حياة وظلال مصبوغة وطيوب
بين أفنانها أهازيجُ ... منهنّ شفاهٌ مخمورة وقلوب
إنّه البعث راجفاً ، ينفضُ القيد حياة يمتدّ فيها الربيعُ

• • •

واستوى بلبلٌ على غُصُنٍ رخْوٍ .. فهزّته خَشعَةٌ وسجود
نشوةٌ كلّه .. وفي العشّ دنيا زحمت أفقها الرّؤى ووجود
مُنشِدٌ كلّه لهاةٌ إذا غنّى وحُلمٌ فوق الرُّبى ممدود
وهو كالنّور كلّه في جناحين : انطلاق وسبْحَةٌ وشرود
إنّه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتدّ فيها الربيعُ

• • •

شهد الغصن أنّه راقص الحسّ .. فيصغي في نشوة أو يميلُ
ملأتْ نفسه على العش نجوى قصّة بثّها غرام جميلُ
قصّةُ العشّ كلّ حينٍ .. وفي كلّ مكان .. على الحياة دليل
في جناح الفراش ، أو وَجْنة الزّهر ، ومن حيث للرّعاة سبيل
إنّه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتدّ فيها الربيعُ

• • •

وسرَتْ نسمة تسرّبَ فيها جدولٌ فضّ ذاتَه أو غديرُ
جرجرت نفسها على الزّهر في كلّ رباة فوقفةٌ أو عبور
لملمت كلّ خاطر وخيال هُوَ في المرج دافق مفجور
ومشت تنقل الحياة على كلّ طريق فكلّه معمور
إنّه البعث راجفاً ينفضُ القيد حياة يمتدّ فيها الربيعُ

• • •

وتلاقت مواكبٌ فحبيبٌ ينثُر الشَّوقَ في يديه حبيبُ
وغريبٌ مشى الحنينَ بعطفيهِ خشوعاً يأسو هواه غريبُ
إنها صحوة الحياة ففيها كلُّ معنى من روحها مسكوب
هكذا عاد في الرَّوابي حديثٌ كلما آبت الرّوابي يؤوب
إنّه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتدّ فيها الربيعُ

• • •

وعلى صخرة تجلّلها العشبُ على الدّرب شاعرٌ مسكينُ
عَبرَتهُ الرُّعاة .. فهيَ تغني من بعيدٍ كما استدارت ظنون
وهو والنّايُ في يديه وفي عينيه جوعٌ وفي الضلوع حنين
ظامىء الحسّ للحياة وللنور وللغيب وهو فيه دفين
إنّه البعث راجفاً ينفضِ القيد حياة يمتدّ فيها الربيعُ

• • •

أيّها الضاربون في وحشة اللّيل أماناً فللصباح رجوعُ
أيّها الرّاكبون في وَقدة البيد احتمالاً قد أمّكم ينبوع
أيّها الرّاجفون في غضبة البحر سلاماً فللرّياح هجوع
أيّها الصّاعدون قد دَنتِ القمّةُ بُشرى غداً يجيء الجميع
إنّه البعث راجفاً ينفضُ القيد حياة يمتدّ فيها الربيع

• • •

هكذا يطلقُ الربيع المعاني وهيَ في قبضة الشتاء تنوحُ
رُبَّ معنى يُستنبت النورُ منه وهو معنى بين الظّلام جريحُ
كلُّ شيء يهتزّ من رعشة الحسّ وينسابُ بين جنبيه روح

ومشت يقظةٌ تَلفّتُ فيها ملء روحيها الربى والسّفوح
إنّـه البعث راجفاً ينفض القيد حياة يمتدُّ فيها الربيعُ

• • •

هكذا تجمع الحياة معانيها وينمو منُ القديم الجديدُ
أبداً تصعد الحياة فما تنفكُّ صيرورةٌ لهـا وصعود
إنهـا رغبة تضجّ بجنبيها وشوقٌ يُلحُّ فيه الخلود
وامتدادٌ وليس فيه حدودٌ وانطلاق وما عليه قيود
إنّـه البعث راجفـاً ينفض القيد حياة يمتدُّ فيها الربيـع
باريس — يناير ١٩٤٧

ماضي شهيد

هكذا دارَتْ حواليه ولفّته الحيـاه
فارتمى في السّفح ، في عينيه وحيٌ وصلاه
وعلى المنْهلِ قـد أنكره حتّى الرعاه
هو حُلم ظلّ يسّاقط ليـلًا في ضحاه
ضلّ في أعماقه معناه وارتاب هـداه
وسْوسَت أشواقـُه من أُفقٍ ليس يراه
صاعداتٍ لضميرٍ في دم الغيب مداه
دَمَعَت جبهتُه آهٍ وكم تبكي الجباه
قال ، والذُّلُّ على عِطفيه يا مجـدَ إله
هكذا دارت حواليه ولفّته الحياه

* * *

وتلوّى في طريقٍ ساربٍ بين الشّعابْ
ذاهلًا يدفنُ في عينيه كوناً من عذاب

بهجةٌ مجروحة الأقدار تاهت في ضباب
نشرت من شعره الرّيحُ وجاشت في الثياب
قدماهُ فوق ناب الصّخر موتٌ في شباب
وهوَ سهرانُ كما يطردُ معنىً في كتاب
يتملّى صوراً تعبُرُ ماضيه رِطاب
قال في قهقهة المجنون يا ذلَّ التراب
ورأى في وهمه الوثّاب في السَّفح ، سراب
فتلوّى في طريقٍ ساربٍ بين الشعاب

***

وتهاوى تحت سَرْح شائخ الجِذْع عتيدْ
ظلّهُ الرّاعشُ رَخمانٌ على البيد طريد
شدّ من لحيته يرقُبُ طيفاً من بعيد
من بعيدٍ بين جنبيه رمادٌ وحصيد
واستوى يعزف للقمّة لحناً من جديد
جحظت عيناهُ ، هذا النايُ صمتٌ وجليد
ذهب الوحيُ جميعاً من يديه والنّشيد
مصّه الجدب امتصاصاً فهو بيدٌ فوق بيد
قال في حشرجة المذبوح يا قبرَ شهيد
وتهاوى تحت سَرْحٍ شامخ الجذع عتيد

***

ومشت قافلةٌ تصعد من خلف السنين
في هواديها غناءٌ وعلى الخلْفِ أنين
هيَ من أين ؟ الى أين ؟ أظَنٌّ أَمْ يقين

هيَ لا تعرفُ إلا أنّهـــا في السائرين
عبَرتْ مصرع إنسان على الذكرى ، دفين
كبرياءٌ ردّها الفكرُ حطاماً من حنين
فهو رأسٌ يثبُ الموتُ عليه وجبين
قال حاديها : غريبٌ قد دعانا منذ حين
فدعوهُ إنّ في الماضي حيـاة الخالدين
ومشت قافلةٌ تغرقُ في جوف السنين

باريس — ١٩٤٨

بين معبدين

في المعبد المسحور ، سبّحنا ، وغنيّنا هوانا
ومشى الهوى نشوان ، ننسج من مفاتنه مُنانا
وسعى به قلبان ينتفضان في الدّنيا ، حنانا
نسخ الحياةَ خيالُنا ، حُلُما ، فكانت من رؤانا

• • •

في ظلّها النّعسان طافت سمْحةَ الإشراقِ نفسي
ونهلتُ من ينبوعها ، فملأتُ بالإلهام كأسي
ونسيتُ تحت سمائها ، من سكرتي ، يومي وأمسي
فكأنني فوق الزّمان وفوق أعصابي وحسّي

• • •

عمر كغفْوةِ حالِمٍ ، بين المُنى ، أو رَجْع لَحْنِ
أو نشوة علوية عَبَرَتْ ... ولم تخطر بِدَنّ
مرّت صباباتي ، كأوهامٍ ، ونام اليوم فنّي
يا موكب الأحلام ، في كفّ الرّدى ، إياك أعني

• • •

مَنْ خان لذّاتي ... وأطلق من يديْ لهوي متاعي
ومَن الذي جُنّت ضلالتُه فمزّق لي شراعي
وأذَلّ أيامي ، وأطفأ في متاهتها شعاعي
وأقامني حَرَماً حزين الظّلّ ، فوق غدٍ مُضاع

. . .

طوّفت ثم رجعت ... والذكرى تعربدُ في ضلوعي
والقلب مخدور المشاعر غالَ صحوتَه خشوعي
ولذائذي انحدرت ، تولْولُ ، صارخاتٍ في دموعي
لَغَمَ الخريف المرّ ، ما حفلت به دنيا الربيع

. . .

اليومَ أرجعُ للهوى ، من بعد إيماني وشِركي
وأعود أنثر فوقَه مترحّماً ، زَهْري ... وشوكي
وأظلُّ فوق ضريحه ... ما بين أوهامي وشكّي
في المعبد المهجور – بعد إلهه – قد عدتُ أبكي

١٩٤٤

نحن ؟ !

نسَخَتْني روحُكِ السمحة شِعراً ومُنى
وشدَتْ بي في المحاريب صلاةً وغِنا
ثم ندّتْ أفُقَ الرّوح جلالاً وسنا
أنتِ يا دنيايَ من أنتِ ؟ وآهاً ! من أنا ؟

. . .

أنا فكرٌ عاش في ظلّك فنّاً ساميا
أنا طيفٌ رَفّ في واديك معنىً شاكيا

أنا نايٌ ذابَ في قُدْسك لحناً شاديا
أنا روح طارَ في الحبّ فراشاً صاديا

. . .

أنا هذا مرّةً أخرى ، فمن أنت إذنْ ؟
أنتِ مَنْ تسمو وتستَعْلي على فِكر الزمن
أنتِ مَنْ طهّرْتِ محرابي بأقباس الفِتَنْ
أنتِ مَنْ فجّرتِ عودي في سماواتك فنْ

. . .

ثم من نحن جميعاً ؟ نحن خمّارٌ وشَرْبُ
نحن مسحوران يا دنيايَ : عينان وقلبُ ؟
نحن قِدّيسانِ في المعبد : قُربانٌ ورَبّْ
نحن في الدنيا ، كما شئنا ، صباباتٌ وحُبّْ

١٩٤٣

الفجر الغارب

الى ذكرى التجاني يوسف بشير

مرّ في موكب الحياة غريبا ومشى كالظّلال فيه مُريبا
وسرى كالخيال جنّحه الوحشيُ فعيناه تقرآن الغيوبا
يحمل النّاي في يدٍ منه طُهرٍ وبأخرى تراه يحمل كوبا
ومشى في الحياة نشوان كالرّحمة دنيا ترفّ عطراً وطيبا
وسقى الناس خمره وهو يَصْدى فحسا الناس روحه مسكوبا
وشدا نايُهُ فكان لحوناً لو تجسّمْنَ خِلْتَهُنّ قلوبا
مشرفاً فوق رَبْوة الخلد كالرّا عي على مولد الحياة رقيبا
عصفتِ تحته الحياة ، فلا الجنّ عزيفا ، ولا السّوافي[1] هبوبا

---

١ – السوافي : الرياح .

ضَجّة تملأ الوجود سكونا ساخراً رجْعُه ومعنى رتيبا
فانبرى الشاعر المجنّح في الموكب ، يُلقي إنجيله الموهوبا
ومضى يزحم الحياة مثاليّة فكر فكان فنّاً عجيبا
رقصت حوله أمانيُّ قلبٍ كاد بالخلق رحمة أن يذوبا
وسِعَ الكونَ كلّه وحواه خفقةً في ضلوعه أو وجيبا
عاش في عالمٍ من الروح صوفيّ ، فجلاّه عالماً مشبوبا
فيلسوفٌ دنياه حقٌّ وعدلٌ وانطلاقٌ كالوحي فكراً خصيبا
ورسالاتُ شاعر عُلَويّ عاش كالطّيرِ في الروابي طروبا
أيّها الشاعر الموشّح بالخُلْدِ سلاماً كالفجر غضّاً رطيبا
لم تزل تسبق الزمان وتعلو قِمَمَ الفكر والخيال وثوبا
ثائراً تنكر القيود فأدركتَ على صحوة الصباح الغروبا
كنت لحناً على الحياة غريبا فتولّى فعاد رَجْعاً غريبا
ما تلاقت فوق التراب حياتانا ، وإن كنتَ لي أخاً ونسيبا
جمع الفكرُ في السّماوات دنيانا كما يجمع المطافُ الدُّروبا
ولقد طوّفتْ حياتُكَ في الأرض جِراحاً بخاطري ونُدوبا
يا أخي مزّقِ النقاب عن الغيب ، وبيّن لنا الغد المحجوبا
وانسخِ الشكّ باليقين فقد تَهدي نفوسا ، وقد تنيرُ قلوبا
ولقد تنقذُ الضحايا وما زالوا وَقوداً يُؤرّثون الحروبا
لا تزال الحياة مجلى صراعٍ لا ترى غالباً ولا مغلوبا
نحن في حيرة كما كنت فيها وسؤالٍ ، فهل لقيت مجيبا
وبنو الفكر في الحياة أناس يتحدّوْن كيف شاؤا الخطوبا
إنّهم عنصر الخلود ولفْتاتٌ من الرُّوح بُرّئت أنْ تغيبا

• • •

إيهِ يا شاعر السماء وداعاً ربّما نلتقي هناك قريبا
لست أرثيك يا رفيقيَ لكنْ أنا حَيّيْتُ فنّك الموهوبا

١٩٤٤ محيي الدين صابر

لوعة صوفي

للشاعر حسن عزت

نضب الكأسُ يا نديمي فدَعني — أتملّى في عالمي مِن جديدِ
أتملّى في عــالمي ثمّ أفنى — بين أحنائه بروحي الجديد
وإذا شئتَ أن تراني تجدْني — في نطاق النّدى وعطر الورود
في افترار الثغور.. في هدأة الغد — ران... في غُنّة الكمان السّعيد
في خرير الأمواج ... في هزّة الأغصان
في أنّـة الصريـع العميـد
في بكاء المحزون في أنّة المجرو — ح .. في زفرة الطريد الشريد
في الأغاني السّكرى يبدّدها الغا — ب فتفنى على ظلال البرود
صورةٌ من غياهب الألم الدا — وي ومن بهجة السّرور العميد
أنا في هــذه الحياة نشيدٌ — محْكمُ الوقع، ساحرُ الترديد
أنا تسبيحةٌ من الخُلد سكرى — قد تلاشت في رقّة المعبود
أنا فيضٌ من العفاف تجلّى — طاهرَ النّور في ظلام الوجود
وضياءٌ من الحياة تهادى — في فؤاد الزّمان حلو النّشيد
هيّنٌ تستخفّه بسْمةُ الطّفل — وتبكيه ذابلات الورود
طامحٌ، ثائر الحفيظة جَبّارٌ — قويٌّ على الصّراع الشديد
فنيتْ نفسيَ الغريبةُ في الحسْن — وفي السّحر، والهوى، والسجود
ومضت تسأل الغيوب عن الكو — ن، وسرّ الوجود في ذا الوجود!
ما مدى العمر؟ أفْتِني، أين يمضي
زورق العمر في الخِضَمّ العنيد؟
ماضياً في سُراه يكتب فوق المو — ج سطراً من السطور السُّود!
أنا من فوقه يهدّدني الرّوْ — عْ ويُلقي عليّ شرّ الوعيد
تحتيَ الصّخرُ ناتىءُ القرن، حولي
صَرَخَــاتُ الرّياح إثر الرّعود

... في خضمّ الحياة مزّقتِ الرّيح
شراعي وبدّدت لي جهودي
وأتاهت في ظُلمةِ الحلكِ الدّا جي شعاعي، وشرّدتْ لي رقودي
واستبدّت بزورقي الذّاهل الحيران
في لُجّةِ الخِضَمّ العنيد
أنا في ذلك الوعيد ونفسي نسخت في القرون عهدَ ثمود
رجعت للزّمان حيرى من الخَطب ترجّي الزّمان بعضَ الرّدود
كلّ ما في الوجود يُطوى إلى النشر.. ولكن.. متى انطواءُ الوجود ؟
نحن نمشي مع الرّكاب على الأر ض الى ظلمة المنايا السّود
نحن نجري مع الحياة إلى المو ت.. إلى الشّاطىء القريب البعيد
متّع النفس بالحياة ولا تبكِ دياراً ولا تقفْ بصعيد
ودع الحزن للضعاف الحيارى ودَعِ الهمّ للشقي العنيد
واغتنمْ لذّة الحياة ... وغرّد في ذرى السّحر أعذبَ التّغريد
ما خُلقنا الى القيود.. فحتّام نُضيع الحياة بين القيود !
كسّر القيد، واطلق النفس تسعد من أسار الخنى وذلّ العبيد

أيّها السّاكر ...

أيّها السّاكر في الدّيجور من دَمْع اليتامى ...
ومثيرُ السّعد والفَرْح على الشكوى الكلامى ...
قد هوينا جثثاً تدمى، وأشباحاً ترامى ...
والمنى تسكب في جنبيك فرْحاً وابتساماً !..

أيّها الرّاقصُ في الأرض على حزن المُضاعِ.
ومقيم العرس في مأتمه المرّ المشاعِ.
ومُذلّ القول في شدقيه من غير دواعي.

يا محيط النّدْب بالذُّلّ ، ويا مرخي الشّراع ...

قد دعوناك الى الرّفق وإنْ لم تُصْغِ بالا ..
نحن قومٌ قد دهانا الحزن والهمّ توالى
فوقَ شاش الكون مثّلنا ـ من الحزن ـ ابتهالا
أيُّها الرّاقص في الأرض ... أما ترخي السّدالا ؟

أيُّها المالىءُ أقداحك من دَمع اليتامى
قد هوينا جثثاً تدمى ؛ وأشباحاً ترامى ...
وبعثنا بعد ذاك الموت واقتدنا الزماما
جُرِّد السيفُ ...
وهبّ الشعب يرتاد الصّداما ! ...

السّرّ

إنْ رأَيتِ الفجرَ مأخوذاً بألحان المساءِ
ورأيت النور عِرْبيدَ الخُطى عذب الضياءِ
ورأيت الشّمسَ تخشاها مصابيحُ السماء
ورأيت الطّلّ رقراقاً على الزّهر الوضاء
ورأيت الطّيرَ سحريّ الصّدى عذبَ الغناء
ورأيت النّاي لا يشدو بقُدسيّ الرّجاء
وإذا بالوتر المحزون مخنوق البكاء ..
.. فأعيدي لي أناشيدي وغنّيني غنائي
واسكبي في قلبيَ الفرحة من بعد الشقاء
وأعيدي أملي الموعود من دنيا الفناء !

وإذا ما أدبر الفجر وأفضى للمغيب

ورأيتِ الشّفق المخضوب ثوّارَ اللهيب
ورأيت النُّورَ مخنوقاً على أيدي الغروب
يتلوّى أحمرَ الصَّفحة ، مشبوب الشُّحوب
ورأيت النهر رقّاصاً على لحْن الغيوب
يتهادى داميَ الصّفْحةِ كالقلب الكئيب
ورأيت الطير قد أفضى الى الوكر الحبيب
فخذي النّاي ، وغنيني أحاديث القلوب
أَودعيه السرَّ إن شئتِ ، ولا تُفشي ذنوبي !
وأشيعي الفرحة السّكرى على قلبي الغريب !

وإذا ما أسفرَ الليل بأضواء الهلالِ
واكتسى الوادي من البدْرِ بسحريّ الظّلال
وتمشّى النور مسحور الخطى بين الجبال
وبدا الوادي كعذراءَ بسحري الجمال ..
وتهادى شادنُ القرية في ثوب الدّلال
وشدا الراعي بألحان الهوى بين التّلال
وتعالى الصّوْت سحريّ الصدى حُلو المقال
وسمعت النّاي مشبوباً يغنّي بابتهال
فاذكري عهد تلاقينا وغنيت حيالي
وانتشينا في حمى الحب بصهباء الطلال !

واذكري عهد تلاقينا شفاهاً بشفاهْ
ومشينا نُلهبُ الشّوق بأقوال الوُشاهْ
وربطنا عُرْوة الحبّ وأوثقنا عراهْ
ودخلنا حَرَمَ الحب بأنفاس الالهْ !

حسن عزّت

جعفر حامد البشير

شاب دون الثلاثين من عمره يتدفق حماساً وشعراً وطنيًّا .

من آثاره ديوان « حرّية وجمال » ، وهو يحتوي على قصائده التي نظمها بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٣ م .

يسجّل شعره بدء الاتجـاه الواقعيّ ، والارتباط بحياة الجماعة ، والثورة على الاستعمار ورجـــاله ، بأسلوب الأقدمـــين أنفسهم ... لكنّه يختلف عنهم بصدقه ، وأمانته في التّعبير ، وحرارته المتدفـّقة ، وتنغيمه ، وشخصيّته التي تبرز في كل عبارة من عباراته .. ثم في اتجاهه في قصائده الاخيرة إلى التحرّر من الوزن أو البحر أو القافية أو منها جميعاً .

لا يزال هذا الشاعر في مقتبل الحياة ، وينتظره مستقبل كبير ، اذا عرف كيف يخلّص شعره من رتابة الأوزان القديمة ، وتسلـّح بثقافة فكرية وفنيـّة تبعده عن بعض الهتافات ، وتجعله اكثر واقعيّة وأكثر شمولاً . فالشعر الحي ليس هو الذي يعالج الأحداث علاجاً مباشراً ، وإنما هو الذي يخلع عليه الشاعر من روحه فينبض بالحياة ويختلج بالحركة .

اسقني

إسقني من خمور تلك العيونِ ... وأدِرْ من كؤوسها كلّ حين .
إسقِها مَنْ يصدُّ عن خمرة الدّنّ ... ويُروى من خمرة في الجبين ؟
إسقنيها يا مدهش الحسن صِرفا ... مِنْ هُيام ومِن جوىً وفتون
إسقنيها ولا تضنّ فإني ... ليس بَذْلى من الهوى بضَنين
يا عجيبَ الجمال إنّ عجيبا ... أنْ تَرى لوعتي وترضى جنوني

هذه مهجتي تذوب من الشّو... ق وقلبي يدمى لفرط الحنين
إذْ ترنّ الأوتار تسبح روحي فتناجيك في صفاء الرنين
أو ترّف الأنوار تُشرق نفسي عند ذكراك في ظلام الشّجون
أو تفوحُ الأعطار ينشقُ قلبي منك عُرْفا أحلى من الياسمين
ملهمَ الشّعر هذه دُرَرُ الشّعر تبارتْ من كل عِقْدٍ ثمين
أنت أوحيتها وأنت معيني... فتدفّقْ بوحيها يا معيني
وأنا الشاعر الذي نزّهَ الحسنَ ونقّى أوصافه من مجونِ

إقبال الجمـــال

صرّحوا بالجمال فيك وكنُّوا... ثمّ هاموا كلّ الهيام وجُنّوا
غير أني لمّا شَدَوتُ أصاخوا ثمّ نالوا مني كثيراً وظنّوا..
لمَ يا قومُ تنكرون على الشّا عر شَدْواً وفيكمو من يئنّ.؟!

...

إنّه الحسنُ كلما هزّ قلبي... غامَ فكري وسحّ للشعر مُزْنُ
إنّه الحسْنُ كلّما هاج روحي هاج من مِزهري نشيدٌ ولحْنُ

...

وترّ أنتَ يا فؤادي عجيب كلّما مَسّه الجمال يَرِنُّ
أيّها الخافق اللهيف ترفّقْ فلهذا الحبيب قلب يحِنُّ

...

كم تحيّيك بَسْمة وتناجيـ ـك لحاظٌ وينعش الروح فَنُّ
مقبلٌ نحوك الجمالُ فماذا بعْدُ ترجو ؟ لعلّه لا يضِنّ

...

كن بما نلت قانعاً مطمئنّا فلكَمْ فاز قانعٌ مطمئنّ !

غداً لنـــا

لا تحزنوا فلنا الغدُ ولنا الزّمان السّرْمَدُ

العقل أصبح منذ هذا اليوم لا يتقيّدُ
حرّاً ... يثورُ كما نُريد له ولا يتردّد
متمرّداً ... والحرُّ حين تسومُه يتمرّد

لا تيأسوا فلنـــا الغد وغداً يكونُ الموعدُ

قد ناءَ بالقيد الثقيل مُصَفّدُ
وشكا من الحـال الكئيب مُشرّدُ
وقضى من الهمّ الجسيم مهدّدُ

مهما يكنْ فلنا الغدُ أفهل غداً يُسْتَبْعَدُ ؟

ألغاصِب المغرورُ قـــد يتشدّدُ
والسّافل المأجور قد يتودّدُ
والخـــائف المذعور قد يتردّدُ

مهما يكن فلنا الغدُ سنرى غداً وسَنَشْهَدُ

سنظلُّ مرتبطين لا نتبدّدُ
متكاتفين كفاحُنا متوطدُ
وشعارنا: أنّ النجاح مؤكّدُ
وغداً على رغم الشقاء سنسعدُ

نشيد الحريّة

هذا نشيدُكِ قد تفجّر من دمي
ملءَ الفؤاد ــ اذا تحدّر ــ والفمِ
هيّا أخي ... نحو الكفاح الأعظمِ

ولهيبه المتطاول المتضرّم
نمشي على ذاكَ اللهيب ونرتمي
لنعود يوماً بالمنى والمغنم
قد طال ضيمك ... واستطال تألـّمي
والحرّ يأنف يا أخي ... فتقدّم
إنْ لم نثر أبداً ولم نتبرّم
كيف الخلاصُ من العدوّ المجرم
هيّا أخي ... لسنا بأوّلَ من رُمي
بيد الجناة فكم لهمْ من مأتم
هيّا أخي ... حطّمْ قيودَك حَطّم
وانزع نصيبكَ من نيوب الضيغم
أتظلّ في عيشٍ يسوءُ مُذمّم
ويعيش خصمك وهو جِدّ مكرّم
غصبوا حقوقكَ بالدّموع وبالدّم
فارجعْ حقوقك بالدّموع وبالدّم

الجماهير

إنْ تجدْ قولاً فما أسمعها	أوْ تجدْ أمراً فما أطوعَها
ذكّروها إنّها غافلةٌ	وأقضّوا دائماً مضجعها
ذكّروها : إنّ في أوطانها	غاصباً قد كاد أن يَصْرعها
حذّروها إن تكنْ نائمة	إنّ هذا النومَ لن ينفعها

* * *

أمَمُ العالم هبّت كلّها	تخنق الوَغدَ الذي ضيّعها
وأفاقت كلها من خدَرٍ	وسموم طالما جرّعها ...
وسقته ــ ما تني ــ مُكثرةً	من كؤوس طالما أترعها

* * *

سائلوها مَنْ تُرى أظمأها ومن اللصُّ الذي جوَّعها ؟
إنهُ مَنْ لو إذا شاء لها لسقاها وكذا أشبَعها
إنَّ كفَّ البغي لا تتركنا وإذنْ لا بد أن نقطعَها
ثمَّ للأحرار في أوطانهم رايةٌ لا بدَّ أن نرفعَها

إلى النهاية

كلما زِدْتَ في عُتوِّكَ زِدنا في نضالٍ فزد عُتُوّاً نزِدكا
إنمّا هذه المصائب أضحتْ للألى مارسوا الكفاح ـ محكّا
قرّبتْ كلَّ صادق ثمَّ أقصتْ مَنْ يظنّ الكفاح غِشّاً وإفكا
قد حمدنا لك الحماقة والطّيْش وكلَّ الذي نلاقيه منكا
فاقذف الناس في السُّجون وقيِّدْ بالحديد الثقيل مَنْ كان فُكّا
واشهر السَّيف والمشانق واسفكْ فلقد كان شرعُ ماضيك سفكا
دعك من قائلٍ : « شطَطْتَ على الناس فخفِّف مما يعانون » دَعْكا
إيهِ عجِّلْ إلى النهاية وابطش رُبَّ بطشٍ يكون للناس أزكى
أوشكتْ ساعة الخلاص وأوشكتَ إلى القبر ظالعاً تتوكا
أيُّها الغاصبُ الحقير قريباً وقريباً ندكّ عرشك دَكّا

أخي يا أخي

أخي يا أخي نحن لن نيْأسا
إذا ما الزّمان علينا قسا

فكفكفْ دموعَكَ واعمل معي

فــــلا نفعَ يا صاحِ للأدمعِ
فناضلْ وسرْ يا أخي واسرعِ
لنسكتَ فرقعة المِدْفع

مدافع للغاصب الأحمق
سيُنْطقهــا حينما نلتقي

وأنت غداً وأنا كلّنا
سنفدي بأرواحنا الموطنا
ونغسل من رجسهم أرضنا
ونتركها حرّةً بعدنا

أخي إنّه الضّيم في أَضلعي
أخي هات قلبك واشعر معي

أنُحرم يا .. مالَنا نُحرمُ
ويمرَحُ في دارنا المجرمُ
أخي ويحَنا إنّه المغرم
والا فللنّاس أن يَبرْموا ...
أخي يا أخي وابتسم للأملْ
وناضل أخي وابتسم للأملْ

وكنْ يا أخي بغدٍ مؤمنا
سنخرجهم في غــدٍ من هنا
فيومٌ علينا ويوم لنـــا
ولكن سنبقى هنا وحدَنا

أخي فلنكافحْ يداً في يدِ
رباطاً كريماً ، أخي ، سَرْمدي

رباط الكفاح رباط الهدى
يدٌ صافحت في جلالٍ يدا
وليلٌ توارى وفجرٌ بدا
وزهر ترقرق فيه النّدى

ورفرفَ فوق الهضاب العُلا
لواءٌ له في القلوب الولا

سنجعلُه توأمَ الأنجم
ورمزاً لسوداننا الأعظم
وننمي له كلَّ من ينتمي
ونحمي به كلَّ من يحتمي

أُختـــاه

أهي الفتاةُ اليومَ في السّودان تبرُزُ للكفاحْ
إنْ كان ذاك إذنْ فقد طلَعَتْ تباشير الصّباحْ !
وإذن فيا بشراكِ يا وطني لقد ريش الجناحْ
وإذن غدوّ الغاصبين غداً سيعقبُهُ الرّواح
وإذن فما بعد الغداة حمى البلادِ لهم مُباحْ

أختاهُ شرّفتِ النّضال غداةَ جئتِ الى النّضال

أُختاه وانحلّ العقال وكان عطّلك العقال
أُختاه ما فشِلَ الرّجال وأَنتِ عَوْنٌ للرجال
أُختاه فاليمنى من الأيدي لها أَبداً شمال
أُختاه طال بنا المدى وتمكّن الدّاء العُضالْ

أُختاه يومَ خرجتِ في تلك الصُّفوف تبسّم الأملُ السعيدْ
وأَهاب بالأرواح يا أُختاهُ منك هدى وإيمان أَكيد
وتوطّد العزم القديم يشدّه العزم الجديد
أَختاه قد طال الزمان ونحن نرسف في القيود
والذلّ والخذلان والحرمان والصّمْت البليد

ما كان أَحْوَجنا إِليك اليومَ في هذا الصّراع
كانت سفينتُنا تسير وكان يُعْوزُها الشّراع
فإِذا بها لمّا قدِمْتِ تسير من غير انقطاعْ
ما كان ظنّ الناس يوماً أَن يشاركنا القناع
حتى قدمت فكان بدْعاً رائعاً في الابتداع

أُختــاه هاكِ تحيّتي شِعراً يفجّرُه الشّعورْ
عقداً لأمجـاد الكفاح وليسَ عقداً للنّحور
ثار الحسان فكيف يا أُختاه شعري لا يثور
قد كان يومك في الكفاح مبرّزاً فذّاً خطير
ملأ النّفوس من الحماس وكان يملأُها الفتور

تاج السر حسن

ولد في إحدى قرى الشمال (الجزيرة أرتولي) عام ١٩٣٠ ، من أسرة دينيّة، لاحد أفرادها مقام وقبّة في السودان . وكان ابوه يشتغل بالتجارة في «النّهود» .

تلقّى دروسه الأوليّة في كتّاب القرية ، ثم التحق بالمعهد العلمي . وكان ضمن البعثة التي أرسلت الى مصر للدراسة في الأزهر ...

بدأ تاج السر حسن حياته الشّعرية ، وهو لا يعرف هدفاً أو خطّة ، فامتلأ خياله بالتفكير الصوفيّ المتأثر بنشأته الدينية .

ولكنّ هجرته إلى مصر ، مدّته بتجارب جديدة، فشعر أوّلاً بقضيّة واحدة ملكت عليه لبّه، هي قضية غربته عن بلاده ، ففاض شعره بالحنين إليها . ثم ما لبث أن قوي عنده الوعي، فخرج من قضيّته الفردية الى القضايا العامة، فصوّر حياة الناس في بلاده ، وجور الاقطاع، والكهنة، وبؤس الأكواخ، ومأساة اللاجئين، ولكنْ في صياغة فيها شيء من التقرير، والهتاف والافتعال أحياناً، لم يتخلّص منها تاج إلا بعد أن اكتشف العلاقات الحيّة بين الأشياء ، وأصبح له هدف محدّد يستمدّه من عقيدة لا تكتفي بتصوير الواقع ، بل تعمل على تغييره ، فاتحد عنده الموضوع والشكل، وتحوّل عن الصياغة القديمة إلى صياغة جديدة اكتسب بها شِعره أخيراً نصيباً كبيراً من الفنيّة والحيويّة والمرونة .

الكوخ

ذلك الكوخ ذكرياتٌ تلاشتْ في طوايا طفولتي وصِبايا
ذلك الكوخ منزلي وهنا بالأمس كانت معربداتٍ خُطايا
كان أُنشودةً وكنتُ صداها كنتُ لحناً وكان ليْ هُوَ نايا
وبقايا خَطْوي عليه تنادي صارخاتٍ إلى لقايَ لقايا
ذلك الكوخ في جوانبه أُمي وفيه إخوتي يمرحون بين رحابِهْ
وهنا والدي يجيء مع الليل ... ليقضي المساء بين شِعابهْ
حيث كنّا نقضي الأماسيّ فرحى في حديثٍ نتيه في خلاّبه
وأخي جالسٌ يحدّق فينا كلما قيل زاد في إعجابه

هو طفلٌ وأُخته مثلُه ترْنو —
لحديثي مشغوفةً ممّا بهْ
وهي لا ترتضي حديثيَ حينا ...
فلها أنْ تردّني لصوابهْ

وهنــا جَدّتي تسوق الأساطير
وتروي الخرافة السحريّهْ ...
وهي تلقي على السرير بقــايا
جسدٍ مُنْهك ونفس هنيّه
وعلى وجهها الصغير خطوط
رسمتها يد الزمان الغويّه
وعصاهـا العتيقة الملويّهْ
وارتجـاف الأنامل المحنيّه :

كان في سالف الزمان وكانت
قصّة الحبّ قصّة الإنسان
كانت الأرض تزدهي بالأماني

كان ابن النّمير يعشق ليلى
وهي كانت أميرةً للجان
وهنا في شِعاب هذا الخيال
عبر آفاق دهره والثّواني ...
كان يمضي بنا الحديث المُثارُ ..
وحنين المجهول يدفع فينا
رغبة يستزيدها إصرارُ ..
هكذا هكذا نقضّي الأماسي ...
بهجة فرحة علينا تُدارُ ..
ثم يمشي النّعاس في الأهدابِ
في العيون البريئة المطمئنّه
في الوجوه الحبيبة المستكنّه
ويغطّي السكون حتى الطريقَ الرّحبَ
حتى ظلالَه المرْجحنّهْ
وتنام الطيّور في الأعشاش
حالمات صغارُها في الدُّجنّه [١]
برؤى الفجر بابتسام الصّباح
بندى الزّهر باللحون المرنّه
ويطلُّ الفجرُ الجميل عليه
وهو قيثارة بيمنى يديه
هو كوخي الصغير مستودع الماضي
ولحني الذي أحنُّ إليه
كلُّ ما كان من مشاعريَ الحرّى
وخطوي يخطرْن في راحتيه
وهنا ظِلٌّ – نيمتى – وثراه
يدعواني إليه يوماً إليه

١ – الدجنّة : الظلمة .

ثورة

الظـّلام الذي يغلـّف إحساسي ويطوي أنواريَ الخلاّقهْ
فيغيمُ السحابُ كالغمّ في قلبيَ يمتصُّ في الدُّجى أَشواقه
والنشيد العظيم في قلبيَ الفوّار تمتصّه سنيني المُراقه
مثلَ ينبوع ثورة غاض في قلبي وقيّدْتُ في دمي آفاقه
أنا ما زِلتُ ثورةً تشعلُ الفنّ دماءً مشبوبة دفّاقه
أنا ما زلت قوةً تدفع النور وتطوي الظلام تطوي اختناقه
ساعدايَ المصفـّدان بروح الظـّلم توّاقتان للانطلاقه
فلماذا والفنّ فجرٌ بقلبي ونشيد مجنَّحٌ وانعتاقه
وسلاحٌ يذود عن حقّ شعبي ، فلماذا أظلُّ دون امتشاقه

* * *

والظلام الذي يغلـّف إحساسي سينهدّ من عميق كياني
قبضة الفجر مثل شمشون تجتاح قلوع القُضْبان والجدران
وصحارى الظـّلام يمتصُّها الفجر بواحاته نضار المغاني
سوف لا تنطوي بقلبي أحزاني ولكن ستنقضي أحزاني
وإذا أيقظ النشيد قِوى شعبي ونادى من عمقه سوداني
ورأيت الجموع كالعاصف المجتاح تنقضُّ من جميع المكان

* * *

ورأيت السودان من مدفن التاريخ يصحو كمارد ذي عزيمه
وجهه ها هنا مع العصر يقظان ورجلاه في القرون القديمه
ولوقع الألوف من أرجل المارد رَجْعٌ كالثـّورة المحتومه
وألوف الأفواه تهتف عاشت ثورة الشّعب للحياة العظيمه

وهضاب الوادي تجيش بهزّاتٍ ويَدْوي الصدى بقلب الهزيمه
وعروس الرمال قد عانقت حلفا وضمت سواكن المهمومه
والشمال الجديب قد قبّل السوباط روّى أشواقه المحمومه
ومشى المارد الملايين يطوي تحته قوّة الظّلام اللئيمه
مثلما جوّعوه خَلفَ الدّياجي وأذابوا قواه تلك الجريمه
مثلما ضلّلوا الملايين واغتالوا انتفاضاتها المكتومه
سوف تمتصهم قوى الشعب يوماً سوف تقضي على الحياة الرجيمه
سوف تقضي على الكهانة والطّغيان والموت والدّجى والهزيمه

* * *

وهزيم الجموع يملأ سمْعَ النّيل سمْعَ الضّفاف سمْع الوادي
والدويّ العظيم كالبعث يحدو كِتلَ الثائرين عَبر الوهاد
من وراء السهول من خَلَل الأدغال من لا نهاية الأبعاد
كِتلٌ تحمل السّلاح لواءً مُشْهراً تستعيد حقّ بلادي
كِتلٌ تحمل السّلاح لسحق الظّلم سحق الطغيان سحق الأعادي

* * *

وكأني والشّعب في ثورة النّصر دماء تسقي الربى المقهوره
وكأنّ الدّماء تكتب للتاريخ حرّية القوى المأسوره
وكأن الثوار قد ظلّلتهم نفحةٌ من حياة أمسِ المريره
حين نادى فتىً من الشّعب هيّا إن نمتْ نبعثِ الحياة الكبيره
حين مات الجدود تحت حذاءِ الظّلم تحت الحوافر المغروره

* * *

غير أنّ الدويّ قد عاد قصْفاً يحمل الأمس كالقذيفة نارا
ليدقّ الأعناق أعناقَ من داسوا جدودي وشرّدوا الأحرارا

الكـاهن

الضّفاف المهدّماتِ يحزّ الموج في ضلعها وقلب الجزيره
والنّخيل المطلّ من شفة الشطّ ظلالٌ على المياه الغزيره
والسّواقي تبكي بلحن كئيب فهمَتْهُ الجزيرة المقهوره
وسماءُ الشّمال يُلهبها الصّيْف فتذرو أضواؤها المحروره
وظهور العبيد أثقلها الذّل فأحنت رؤوسَها المنثوره
والفئوسُ التي تعانق أيدي البؤس أيدي هذي الوجوه الفقيره
تسمع الأرض أنّة وتسقّي زرعها من جهودها المقبوره

* * *

وتوارت خلف الحقول بيوتٌ كعّبتها بالطين أيدٍ شريدهْ
الجدار الذي لديها خطوطٌ من حبالٍ طينيّة مشدوده
طبعت فوقها أناملُ بنّاءٍ سقاها أيّامه المكدوده ...
وترفّ الأبواب عرجاء تعوي ساهماتٍ إلى السهول البعيده
وعليها تجمّعت عتَباتُ الطين تشكو خطى الأناس البليده
والبيوت العجفاء لا نافذاتٌ غير أشلاء كوّةٍ مقدوده
الضّياءُ المحبوس يلقى عليها نُقَطاً من فيوضه المردوده ..
وكأن الدخان مستنقعاتٌ داخلَ البيت والكهوف العديده

* * *

حيث يأوي المعذّبون عبيدُ الحقل حيرى مع الظّلام الموحشْ
بعد أن مصّت الحقول عروقاً نابضاتٍ وساعداً عادَ يُرعش
ها هنا في الكهوف عادوا ولكنْ في غدٍ يعرفون مَنْ كان ينهش
في غد يعرفون من كان يروي من دماهم أحناءَه حين تعطش
فهمُ اليوم يشعرون ولكنْ في غدٍ ثورة العبيد ستبطش ...

وتعالى خلف البيوت بناءٌ شامخٌ كالقصور في كبرياءِ ...
زوّق الجيرُ لونَـه فهو في القرية بيت مقدّس الأنحاءِ ...
عشعشت فوقه الخفافيش وامتدّ نعيبٌ كهمهات الفناء ...
غير أنّ العبيد يأتون للقصر للثم التُّراب والأرجاءِ ...
لم تكن تعرف الجزيرة قبلًا كاهناً في القصور عبد رياء ...
كاهناً هاجرت خطاه بعيداً عند أرض المدينة الغنّـاء ...
فتلاشت في نفسه صُوَرُ القرية إلاّ حنينه للعطـــاءِ

* * *

نسيَ القائمين عند الجداولْ ..
نسيَ القابضين أيدي المعاول ..
غير همس النّـقود همس السّنابل ..
غير إحناءة الشّـريد الذّاهـل ..
غير لثم الحـذاء لثم الأنامل ..

* * *

وبعيداً عن القرى عن أماسيها بعيداً عن شعبها المغبونِ
وبعيداً عن الأُلى خلقوا النُّور لتمشي الحياة عبر السنين
وبعيداً عن النخيل المذرّى في شعاب الدجى هزيل الغصون
وبعيداً حيث الضّياء ضريرٌ في قلوب الكهوف عند الدّجون
وبعيداً حيث العبيد يغنّـون دعاءً للسيّد الملعون ...
كان قصرٌ يطلّ فوق اللّـيالي قمَريّ الحيطان والتّلوين ..

* * *

جلس السيّد الجليل على البَهْو غريقاً على الضياء المزخرفْ ...

والثريّات بالشّعاع يشوّكْن صفوف الظّلام أيّانَ تزحف
قد تنسّقْن في الجبال صفوفاً وخرير الضّياء خيطٌ تكثّف
وبدا البهو قد تموّجَ بالأجسام تطفو حول الاله وتلتفْ
أغرقت جسمها البدينَ خطوطٌ من حرير ومن حزام ومِعطف
وحشود من العمائم بيضٌ باحثاتٌ عن الطّريق إلى الكفْ
باحثات عنها وقد أغرقتهم في ظلام الأمس الضّرير المغلّفْ

* * *

كان جمع من الشيوخ وكانت مَسْبحاتٌ تشعّ بين الأصابعْ
وبخور يمُدّ أجنحة زرقاءَ ينفضْنَ عِطرهُنّ الذّائعْ
وعيون العبيد ذاهلةٌ حيرى تطلّعْنَ للإله المخادع ..
وعلى البُعْد بين حَشد الأناشيد وَوَقع الخطا الرّتيب التتابع
وقف اثنان يُرْجفان حديثاً عن صفات الولي ربّ المنافع
إنّ سِيدي تراه عيني ولكن لا ترى لونه العجيب الرّائع
وهمُو يهمسون والسيّد المنْهومُ في قلبه تضجّ المطامع

* * *

وعلى السّاعة الكبيرة في القصر جموعٌ من الشباب الغرير ..
أغرقتهم طلاسم السيّد المالك في قَبْوِ ليلها المضْفور
فنسوا ما أصاب قريتهم من ظُلمِ هذا المؤلّه الشرّير ..
ونسوا أنّ شعبهم هو ربُّ الأرض أمُّ الزهير أمّ الحرير
إنّه السيّد الكبير سيُجْلي عن حماها أعداءها للقبور

زهرات

على درب الحب

ورُبَّما غرست زهرتينْ
في درب ذكرياتنا
روّيتها بدمعتين
وربما الرّياح هَرْوَلتْ
الى حفيف ضفّتينْ
ورُبَّ عينْ
رأت ظلالنا تموجُ
في شطآن جدولينْ
حبيبتي عيناكِ تُشْبهان
ألطّلحُ والصفصاف في أعماقها ظِلاَّن
بالحبّ يورقان
يا سَعَف النّخيلْ
يا أذرع الصفصاف في شاطئنا الجميلْ
إذا رأيتها سائرة في ضفّة المساء
مِن حولها في قريتي ينوِّر الثغاء
ويلمع النّدى على أزاهر الحقول
والضفة الأخرى تظلّها مراوح النّخيل
قولا لها بأنكنّ ذاتَ ليلة قمراء
وعندما كانت رياح الشرق تملأ الصّحراء

رأيتما فتىً على أجنحة الرِّياحْ
يداه كانتـا تلوِّحان للصَّباح
وتغرسانْ
على دروب حبّه القديم زهرتين
كنجمتينْ
وكان أن روّاهما بدمعتـين
وأطلقت قيثارةُ السمراء غُنْوتين :
« حبيبتي عيناكِ تُسهمان
ألطّلح والصفصاف في أعماقها ظـلاّنْ
بالحبّ يورقان »
وضمَّ من آثارك الخضراء ضفّتين
وحينما اختفى في زرقة المدى
عاد لنا الصّدى
على جناح غُنْوتين :
« رُبَّ عينْ
رأت ظلالنا على ضفاف جدولين » .

جيلي عبد الرحمن

شاعر واقعي حديث بكلّ ما تنطوي عليه الواقعية الحديثة من معنى .

ولد في جزيرة صاي (١٩٣١)، وعاش في طفولة بائسة اضطرّته الى ترك بلاده فهجرها صغيراً (في التاسعة) للّحاق بوالده الذي نزح إلى مصر طلباً للقوت .

في القاهرة شبّ جيلي ، واندغم في حياة أهلها ، فغرق مع الناس البسطاء في الحارة ، والشارع ، والقرية ، واشترك مع المناضلين المصريّين في الكفاح جنباً إلى جنب . ومن المدّ الثوري العظيم عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ — على حدّ قوله — تعلّم جيلي من الجماهير «أنّنا نستطيع أن نصنع المستقبل» فاحتضن قضيّته وقضيّة الفلاحين والتّعساء الأجراء ، واحتضن صراخ الجياع وآمال المتشرّدين ، ووعى أزمة الحياة ، وصوّر حركتها ، وصراعها الدائر ، وعلاقاتها المتناقضة .. كلّ ذلك بأسلوب حيّ جديد معبّر يتلاءم مع مضامينه الثوريّة الجديدة، فإذا قصيدته بناءٌ ، وإذا هي كلّ مترابط ، يتألف من جزئيات صغيرة، لا من كلمات خطابيّة عاميّة . تتميز بالبساطة والعفويّة ، وتكتنز بغنى التّجربة ، وحرارة الانفعال ، وشمول الفكر ، يبدأ بعضها بمناسبة شخصية ، ولكنه ينتهي الى موقف انساني رائع .

هذا هو جيلي عبد الرحمن الذي بدأ حياته شاعراً وجدانياً متصوّفاً يأكله الحنين الى بلاده ، وتسيطر عليه وحشة الاغتراب ، فيقتصر شعره على الذكريات الخاصّة ، هذا هو ينطلق أخيراً فيحتضن من خلال قضيّته قضيّة بلاده بل قضيّة العالم بأسره في شعر يسمو في معظمه عن الخطابة والدّعاية ، ولا يعالج موضوعه علاجاً مباشراً كما يفعل غيره من الذين يسيئون فهم الواقعيّة على حقيقتها الكاملة .

أطفال حارة زهرة الربيع

حارتُنا مخبوءةٌ في حيِّ عابدينْ
تطاولت بيوتها كأنها قلاع
وسدَّت الاضواءَ عن أبنائها الجياع
للنّـورِ . والزّهور . والحياه .
فاغرورقت في شجوها وشوقها الحزينْ
نوافذٌ كأنـّها . ضلوع ميّتين .
وبابُها . عجوزْ ..

وفوق عتمة الجدارْ
صفيحةٌ مغروسةٌ في كومة الغبارْ
تآكلت حروفُها لكنّها تضوعْ [1]
(زهرة الربيـع)

وفي البكور يخرج الرّجالْ
أقدامهم مَنهوكةٌ . وصمتُهم سُعالْ
يدْعون للإله في ابتهال
يا إلهْ ...
إفتحْ لنا الأبوابْ .. وسهّل الأرزاقْ
وتختفي أقدامهم في زحمة الحياهْ .

ويصخبُ العِراكُ في شتائمٍ يدورْ
وبائع الكرّات والجرجير .
يُنغّم النّـــداء

---

١ – ضاع المسك : انتشرت رائحته .

في صوته انطلاقة الحمام في السّماء
يختالُ كالأوزّ في القرى
فيهدأ السُّباب .

وترسل البناتُ من نوافذ البيوتْ
أشذاء أُغنياتْ
تحنّ للنّيونِ والعبيرْ
في عالمٍ بعيدْ ..
وللعريس وهو في ثيابه يميسْ [1]
وتورق الألحان في القلوب
فتنسج الكروم من أشعّة النّهارْ
لزهرة الربيع .
حارتنا مخبوءة في حيّ عابدينْ
أطفالُها في الصُّبح يمرحونَ كالطّيورْ
يبتنون في السّدودِ . يقفزون كالقرود
محمدٌ عيونه الشهديّة الصّفاء
تخضَلُّ [2] بالحنان .

« وصابرٌ » في وجهه استدارة الرّيالْ
و « رُفْعتٌ » بأنفه يدبّ كالمنقار
وأُخته كالنُّور ياسَمين
في رِجْلها خلخالْ .
وذاتَ يوم مشرقِ السّناء كالبَلُّورْ
تجمّعوا كأنّهم بدورْ

---

١ – ماس الرجل : تمايل وتبختر . ٢ – تخضلّ : تبتلّ .

« محمدٌ » يحكي لهم في لثغة العصفور
عن راكب الحصان في الميدان
والماء من نافورة تُضاء
ينساب للسَّماء
والشجر المخضوضر الكثير ...
حارتنا يا إخوتي تمتدّ كالثُّعبان .
ووالدي هناك عَبْرَ شارعٍ مسحور
بيوته قصورْ .
يبيع في ملابس النّساء والرجال
وصاحبُ الدُّكّان ...
« خواجةٌ » دماؤه حمراءُ كالبطّيخ ..
فقالتِ الأطفالُ : يا سَلام ..

وأطرقت « ياسمينُ » في براءة الملاكْ
لتَقطرَ الكلام مثلَ زهرة تفوحْ
أريد من أبيك يا محمدٌ فُستانْ
وهامَ في وجوههم سؤالْ .
وانزلقت عيونهم في ثوبه القديم .
وطافتِ الهموم فوق رأسه الصَّغير
ورفّتَ الدُّموع .

وحين عاد كالأسى الرّجالْ
أقدامُهم معروقةٌ[1]. وصمتهم سعال
وحطّ كالغيوم في حارتنا الظلام

---

١ – عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

تناغت العيال[1] في الأعشاش
يسألون في العشاء عن قصور
وراكب الحصان في الميدان
والشجر المخضوضر الكثير
وانهمرت دموعهم . في زَهرة الربيع
« محمدٌ » ينام . والأطفال . والأحلام .

حارتنا مخبوءة في حيّ عابدين
تطاولت بيوتها كأنّها قلاع
وبابها عجوز

وفوق عتمة الجدار
صفيحة مغروسة في كومة الغبار
تآكلت حروفها لكنّها تضوع
« زهرة الرّبيع »

الفجر في قرية

وترامت في حضْن الظلّمه
أكواخٌ . راجفةٌ . جهْمه
نامت كي تصحوَ في الفجرِ !
ويطلّ الديك على دُورِ
تجثو . في الليل المضفورِ

١ – العيال : يقصد الأطفال .

وتهادَتْ أنّة طنْبورِ
ما زالت تضرب في الماءِ
أيدٍ تسقي !

وينام هناك على السّطْحْ
عمٌّ سعيدْ
والوجه القمحي الطيّبْ
حفنة نورْ
وشعيرات كانت ترْشَحْ
كالبلّورْ . . .
عرق الأرض الساخن

والذعرُ على عينِ سكينه
ظلّل أحلاماً مجنونه
تلك البنت النّضرَهْ
كانت تجري خلف البقَرهْ
قد ربطتها عند الشجرهْ
فكّت عقْدَتها الملعونهْ
عمّ « سعيد » يحضن ابنَهْ
في الشّفتين . لمعة سَمْنِ
« شعبانُ » ينام كعصفورِ
زقزق أحلاماً في الغصنِ
والدّيكُ ينطّ على السورِ
والعنزة تنصت للزّيرِ
يقطر ماء . . . يقطر ماء !
وترامت في حضن الظّلمهْ

أكواخٌ . راجفةٌ . جَهْمه
نامت كي تصحو في الفجرِ

والفجر يمدّ ذراعيه
فوق الخيمهْ ...
ويمزّق موجاتٍ ضَخمَهْ
فتساقط في الهوّة نجمه
والديك على سطح البيتْ
شدّ جناحه ...
ملأّح الفجر يرقرق ،
أفراح الأضواء وأفراحَهْ
فاستيقظ في جُحْرٍ أرْنبْ
ونباحٌ مبحوح
هو كلب الجيران الأجربْ
وديوكٌ أخرى !
وتلاقت أشباح تمشي
عبر الدربِ . صوبَ المسجدْ
وصباحَ القِشْدة [1] يا « أحمدْ »
وصباح الخَير .
وتصافحت الأيدي الخشِنَهْ

هو عمّ سعيدٌ ينتحبْ
الدودةُ أهلكت القطنا
يا ربْ ...

---

١ – القشدة : الزبدة الرقيقة .

ويُبلّل أرض المسجدْ
دمعُ العين !
« يا رب الناظرْ
هذا الفاجرْ
هل يأخذُ مني البقرهْ
من أجل جُنيهات عَشَرَهْ
وجنيهين ؟
سأسدّدها بعد الأُذْره [1]
إن عِشْنا ...
يا ربْ . »

كان صباحٌ ملء القريه
حقداً وصراخاً في القلبْ
يا ربّ الناظر . يا ربْ
عمٌّ سعيدٌ يحتضنُ ابنه
والوجه كأرضٍ مُسْتَعِرَهْ
والعين توهّجتا ثوره
« أخذوا من داري البَقَرهْ
والدودة أهلكت القُطْنا
لم تُزْهرْ في أرضي شَجَرهْ »
والقرية روحٌ تتعذّبْ
حقدٌ وصُراخٌ في القلب
حتى الأطفالُ على الدّربْ
لم تلعبْ !

---

١ — بعد حصد الذره .

ودجاجاتٌ كانت تمشي
وتنقّر في الطين على حَبْ
ونُباحٌ مبحوحٌ . دامٍ
هو كلب الجيران الأَجرب

شوارع المدينة

شوارع المدينة المخضوبة البيوتْ
بالدُّخان والزّيوت ..
حاراتها الجرداء . في أحنائها الشّقاء
واليأسُ . والرّجاء
والحزن والسّرور
قهقهة (الشغّيلة) المحنيَّة الظّهور
محمومة الصدور .
ترنّ كالصّخور ... في مَصنع يدور
وتبعث الأضواء للقصورِ .. للفجور .
تشيّد الجسور والرُّخام
وتفرش الحصير والظّلام
لكنَّها تدور ...
وتعشق الزّحام .
شوارعُ المدينة المخضوبة البيوت
بالدُّخان والزيوت
نعيشُ في أعماقها .. نعيشُ لا نموت

وذاتَ يوم أطبقت عمائر المدينه
كالموج في المحيطْ ... يقتلعُ السّفينه

وارسل الإله في حارتنا عيونَه
فاقتطعوا الطريق . ثم شيَّدوا الأسوار
وعذَّبوا الإنسان كي يمزِّقوا الأنوار
ودقَّت الأبراج في الكنائس القديمه
أجراسَها الحزينه .
وكنتُ والرِّفاق في النَّهار نستعيذ
ونسأل الصباح في ابتهالة العجوز
حَزْمتين من ضياء .
ويزحفُ الغروب والمساءُ كالسّجون
يلملم النّجومْ .
وتضْرعُ القلوب للسَّماء . يا قمر
تمدَّدَ الظَّلام . وأزهق البشر
ورحتُ في شبَّابتي أحنُّ للرُّبوع
كالحَمَل الوديع
وأغمرُ الحقولَ والغديرَ والشَّجرْ
بمَقْطعٍ حزين –
ففي صعيد قريتي لا خوفَ . لا أسوار
تكمّم النَّهار ...

مشيت في شوارع المدينة الحزينه
أسامرُ العيونْ
وفي الفناء حول قصر المالك الكبير
تكوَّم الرَّعاعْ ... وأخوة جياعْ
يسعلونَ .. يضحكون ..
وأبصرت عيناي في مفارق الطريق
صبيَّةً عنيدة مقطوعةَ الذِّراع

تموجُ في الصّراع .
والنّاس في الصّقيع يحلمون بالرّبيع
وعدت من هناك من نقاوة الحقولْ
وهمسة الغدير
أبارك الجموع .
قهقهة (الشغّيلة) المحنيّة الظّهورْ
محمومة الصّدور .
ترنّ كالصّخور . في مصنعٍ يدور
تنوّر النشيد ..
شوارع المدينة المخضوبة البيوت
بالدّخان والزيوت .
نعيش في أعماقها نعيش لا نموت

قطرات الصّيف

قلبي يبتلّ على الشّارعْ
الطفلُ ، المذعورُ ... القلبّ
يستاف إلى الحبّ الفارغ .
يا ظلّ الصفصاف ... أيا حبْ
مدّ فروعَك ... واطردْ كلّ غيوم الصّيف
وافرش هذا الشّارعَ بالعُشْبْ
واسق الحيطان من النّورْ
أطفيء ظمأ القلب المذعورْ
قلْ للغيمات ... أيا غيماتْ
هذا زَيْفٌ ...
أن تُمطرنَ .. ونحن نشمُّ عبير الصّيف .

أخشى أن يبتلَّ الثَّوب
فاركض يا حبُّ ..
مدَّ الى الغيم ذراعَك
وابذر كالشمس شعاعَكْ وتضرَّعْ للسُّحب .
« هناك وراء الصَّخر ، على الأرض الجَهْمه
تنساب قلوب النّاس ... أيا سُحبَ الرحمه .
يرجون رذاذاً من قطْرْ
النَّخل يجفّ هناك .
والعنزات الظمأى ، والزَّهْرْ
حتى الأكواخُ تجفُّ بهنَّ الأشواكْ
وأنا أشتاق إلى النُّور الأزرق
وكأنّ عيوني اكتملت من فَيْضِ
سماءٍ يترقرق ... »
وتضرَّع للشمس ...
أيَّتها الشمس المختبئة خلفَ الغيمْ
بدموع الشَّفق الحمراء
وجلال النور .. على الماء
وفقير صلّى للصبح بقلبٍ مشتاقْ
وبالعشّاق ...
قولي للغيمات .. أيا غيماتْ
قلبٌ يبتلّ على الشارع
أخشى أن يرجع من غير لقاء
فاذهبنَ وراء الصَّخر ...
عبر الأكواخ الظمآنةِ للقطرْ
واملأن الجرّةَ ... والبئر .

حتى يخطر كل الناس على العُشبْ ،
حتى ينبت زهر الحُبْ »

* * *

وإذا ما فرغ الشّاعرْ
وبقيت أنا وحدي كالأمَل
المهموم ، الضّائع .
سأقول لوجه الفجر المبتلْ
ودموعي في قلبي تخضلْ
هذا زَيفْ ..
أن تمطرنَ . ونحن نشمُّ عبير الصّيف .

أشواق الكفاح

أنا عائد من بلاد الجنوبْ
وبين ضلوعيَ شوقٌ يجوب
إلى الرمل ، والماء ، والأمسيات
وأعين أهلي ، وخالي الحبيب

* * *

أنا عائدٌ من بلاد الهَبوب [1]
وهل تعرفين الهبوبَ ، أيا اخت روحي
لكم دوّمت فوق صدر السّفوحِ
وقد عفّرت أعيناً بالرمال

---

١ – الهبوب من الرياح : المثيرة للغبار

فسالت من الشوق كلُّ جروحي
وكنت أحنّ لريح الشّمال .

* * *

ذكرت الرّياحْ . .
فصبّي على ذكرياتي المطر
ولا تتركيني وحيد الجناح
تدمدم بين دمائي الشجون
وأسمع لَهْفَ القلوبْ
وصرخات شعبي تنادي
فتقفر كلّ الغصون
كما يتعرّى الشّجر
أمام الهَبوب . .
بأرض بلادي

* * *

أفيضي الحديث أيا أُختُ عن
مؤتمرْ . . .
تجمّع فيه الرّفاقْ
وماذا فعلتِ ، غداة
التقيتمْ . . لوضع الشّعار
وراء الزّقاق ؟
وعن ذكرياتٍ أُخَر
فانّ حديث الكفاح
يضمّدني ويسدّ الجراح

* * *

حديثك يا أختُ مثل الرُّطَبْ
أكلناه .. بعد احمرار المياه : بشائرْ
حديثُك بعضُ ثمار العنب
تشهّاه بعد الغيابِ ، مسافر .
وصوتُك فيه ارتعاش الضّفائر
حديثك ثائرْ

* * *

وإنّ أرقّ اللّيل ذكرى الكفاح
وأشعل في مقلتينا الغضب
سألقي إليك الحديث المباح
وأيامنا تحت ظلّ السُّحُبْ .
وكنا نجوس ببيتٍ خَرِبْ
و « شلّتنا » كالنّمور الصغارْ
تفتشُ عن عَظْمة في الديارْ
وعن نغمة في خرير السواقي
وإنْ غيَّبتنا أكفُّ الليالْ
ستحلم أعطافنا بالتلاقي
وتلهث أنفاسنا للشمال
بلاد الخرافات ... والبرتقال .

* * *

وفي الصُّبح ينزح كل الرجال
وقد يأكلون طعامَ الفَطورْ
إلى حيث يشوي الهجيرُ الجلودْ
وراء الصخور ...

يدقّون في الأرض مثل العبيد .
وحين يخطّ العرق
سياطاً من الماء في كل وجه
يعود الرجال ...
وترنو البيوت لأبطالها
وتمدّ الظّلال .
تعدّ الغداء

* * *

وترعى النساء ببعض الخراف .
وراءَ الجبل ...
وعنزاتُهنّ النّحافْ
يُطوّفنَ فوق الوجوه المللْ
وتشكو « عزيزة » هذا الجفافْ
تُلملمُ بالساعدين الحطبْ
وتُشعل أنفاسها باللّهبْ
ولكنها ترتوي بالغناء .

* * *

وأعجب كيف يثير الهتاف .
وصوتك : حين يهزّ الشغافْ
من القلب ذكرى فتاه
وما نبشت باليراع الورق
وتركض فوق الحصى والترابْ
وقد ترتدي في الشتاء الخزف
ولكن يمينك نبع الصفاء

وصوتك : شلاّل وتبْرٍ وماء
كصوتِ عزيزةَ بنت الجزيرهْ
وبنت البلاد الفقيره ...
لكم أنعشتها زجاجةُ عِطرْ
وقطعةُ حلوى أتت من بعيد
مع العيد : من أخوين بمصر
وتجمع بالسّاعدين الحطب
ولكنّها قلّ .. أن تكتئب !..

* * *

ويا طالما حدّثتنا هناكْ
عن الطالبات ، وذكرى عرابي.
حديثاً كذَوبِ النّدى في الرّوابي
تضيء السذاجة فيه الكلام
وتسألني عن فتى أسمرِ
يخطّ النّضال على جبهتهْ
شواظاً من النار في غضبته
وما عبّ من سائلٍ أحمرِ
رهيبٍ كأيام زنزانتهْ
وأحكي لها عن صلاحْ
تحدّى مع الثائرين الملِكْ
وجيش الغزاة الدخيل
فمـــات !
ولكنه لم يزل أغنيه
ترددها كاللّظى أمسيهْ
وصوت عزيزة : تِبرٌ وماء

يسيل كأنّ انبثاق الغناء
ينير بلادي الفقيره
ويكتب تاريخنا بالدّماء

* * *

أفضت الحديث ..
فقولي أيا أَختُ عن مؤتمر
تجمّع فيه الرّفاق
وماذا فعلت ؟ غداة التقيتم
لوضع الشعار وراء الزّقاق
وعن ذكريات النّضال
وثورتنا في القنال
وعن أمّ صابرْ
فصوتك ثائرْ
يرفّ بوجدان شاعر
لأنّ حديث الكفاح
يضمّدني .. ويسدّ الجراح .

كلمات في عيد الميلاد

الليلُ ، الأضواءُ هنا ... والحاناتْ
والأحزانْ
والليل الجُدْرانْ
خطواتٌ تمتدُّ ثِقالْ
أقدام نِساءٍ ورجالْ
بسماتٌ صُلبَتْ في الفمْ

أوّاهُ ... لقد نضب الدَّمْ
والشارع يَعْوي كالسيْلْ
وحدي أذرع هذا الليلْ

*

صاحبتي لو جئتِ معي عيد الميلادْ
لقضينا الليل ودادْ ...
صاحبتي ... فصديقُكِ قد وُلِدَ اليومْ
لو جئتِ معي ... لسمعنا أنغاماً نغمُرُها بالحُبّ
ونجاوى القلب إلى القلبْ
لو جئت معي ما ارتعشتْ
في قلبي تلك الصّرخة ... للقومْ
الليل ، الأضواء هنا ... والأحزانْ
وأنا إنسانْ
يودّ يرقرق فرحته في عيد الميلادِ ... اليومْ

*

اللّيل يموت على أفُق الحارات
والحـانات ..
أنفاسٌ مجهدةٌ تطفو في رغَـوات الكأس
وأنا والحانة لم تنزع من أعماقي اليأس
صاحبتي .. يدُكِ امتدّت تمسح دمعهْ
أطرقْ يا شاعرُ في « عبري »
غنيت الأشواق مع اللوعه .
وفرحت أيا روحي ، ضحكتْ أحزاني
المبتلّةُ بالعرقِ

وأخذت أخطّ على الورقِ :
« عيناكِ يُشعّان بقلبي الفرحهْ
والسُّمرةُ في وجهك كالكرمهْ
كالطميْ على النيل الشادي
عيناكِ كأشواق بلادي » .

*

يا روحي قد كانت روحك كلماتِ سلامْ
الحبّ ، الأشواقُ .. السمره
ما أحلى أن نجلس مرّه
ونذودَ الآلامْ
صاحبتي : حين دلفتِ إلى الشارع
كانت كلمات أغلى من كل الأصباغ والذّهب اللامع .
كلمات ترشق أيامي بالحُبْ
كلمات القلب .. إلى القلبْ
يا روحي وامتدّت تمسح دمعه
يدُكِ السّمراء كأغصانِ الزّيتونِ على التّرعه
لم أشعر أني خالي الجَيب
فلقد أوقدت الشّمعه
في عيد الميلادِ وكانت
كلمات سلامْ

محمد الفيتوري

زنجيّ الجدّ من أعالي بحر الغزال . سوداني الوالد ، مصريّ الأم .

ولد عام ١٩٣٠ ، وقضى الجانب الأكبر من حياته في مدينة الاسكندرية . له مجموعة شعرية طبعت عام ١٩٥٥ ، باسم « أغاني أفريقيا » .

يمتاز الفيتوري ، من بين هؤلاء الشعراء ، بطابع خاص ، يقوم على شعوره بالغربة والضّياع ، ومعاناته أزمة نفسية تصل إلى حد الاحساس بالنقص تجاه البيض الذين يتصورهم يحتقرون آدمية السود بسبب قبحهم ودمامة سحنتهم .. ويتوهّم أن المعركة لونيّة بين أبيض وأسود ، فيدقّ الطبول ويقرعها مستنفراً أبناء جلدته لكي يستيقظوا من حلمهم الأسود ، ويخرجوا من سراديبهم ، وأكواخهم ، وأقبيتهم الرطبة ، وينفضوا جثة تاريخهم وينصبوا أحقادهم تمثالاً يتحدّى الورى ، يتحدى الفنا « أجل فانّا قد أتى دورنا ، أفريقيا إنّا أتى دورنا .. »

أما أسلوبه فيراوح بين الصّياغة القديمة والصياغة الجديدة ، وإن كان الى القديمة أميل .. لكنّ عنف الموضوع عنده يهبه نفَساً شعرياً زخّاراً لاهباً يتدفق بالثورة ، ويشتعل بوقود الحياة ، وجدّة الشاعرية ، ويضع صاحبه برغم عدم تكامل الوعي الانساني في نفسه ، في صف الطليعة بين شعراء «العرب» المحدثين .

أحزان المدينة السوداء

على طرقات المدينهْ
إذا الليل عَرّشها بالعروقْ
ورشّ عليها أساه العميق
تراها مطأطئة في سكينه
محدّقة في الشّقوقْ
فتحسبها مستكينهْ
ولكنّها في حريق .

* * *

على طرقات المدينه
وحين يشيد الظّلام
تماثيله المرمريّه
ويهدمها في عقوقْ
وتهبط بالكائنات
سلالمه اللولبيّهْ
لماضٍ سحيق ، سحيق .
وتغرق في الذّكريات
سواحله العنبريّه
وتوشك ألاّ تفيق
وينهض في كلّ ذاتِ جدار
من الطّين ، والماس ، والشّهوات
وينعس ليلٌ ، ويصحو نهار
يصفّ القناديلَ للظلمات
هناك تجفّ دماءُ السّكينه

جفافَ القبورْ
ويصبح قلب المدينه
كشيء حقير
كمدفأة في الهجير
كمسرجةٍ في طريق الضّرير
كأفريقيا في ظلام العُصور
عجوز ملفّعة بالبَخور
وحفرةُ نارٍ عظيمه
ومنقار بومه
وقَرْنُ بهيمه
وتعويذة من صلاة قديمه
وليلٌ كثير المرايا
ورقصةُ سودٍ عرايا
يغنُّون في فرحٍ أسودِ
وغيبوبة من خطايا
تؤرّقها شهوة السيِّدِ
وسُفنٌ معبّأة بالجواري الحسانْ
وبالمسك ، والعاج ، والزّعفرانْ
هدايا بلا مهرجان
تسيّرها الرِّيح في كل آن
لأبيضِ هذا الزمان
لسيِّد كلّ زمانْ
وتمتدّ مزرعةٌ في خيال الوجود
ستكسو عراة ، وتعرى عراة
وتجري كآباتها في عروق الحياة
وتصبغ لون المياه

وتصبغ وجـه الإله
وتضحك أحزانها في الشّفاه
وتنبت حتى الطغاه
وحتى العبيد
وحتى الحديد
وحتى القيود
وتـُنبت في كل يوم جديد

***

ولكنّهم حين يبني الظلام
على ُطر ُقات المدينه
حواجز من حجر أسودِ
يمدّون أَيدَيهم في سكينه
إلى شُر ُفات الغدِ
وهم صَرَخات سجينه
بأرضٍ سجينهْ
وأَيّامهم ذكرياتٌ طعينه
لأرضٍ طعينه
وأَوجههم كالأكفّ ، حزينه
تراها مطأطئة في سكينه
محدّقة في الشقوقْ
فتحسبها مستكينه
ولكنّها في حريق !

أغاني أفريقيا

يا أخي في الشّرق ، في كل سَكَنْ
يا أخي في الأرض ، في كل وطنْ

أنا أدعوكَ ... فهل تعرفني ؟
يا أخــاً أعرفه رغم المحن

إنني مزّقت أكفان الدّجى
إنني هدّمت جدران الوَهَنْ

لم أعدْ مقبرةً تحكي البلى
لم أعدْ ساقية تبكي الدّمَنْ [1]

لم أعدْ عبد قيودي ، لم أعدْ
عبدَ ماضٍ هرمٍ ، عبدَ وثن

أنا حيٌّ خالدٌ رغم الرّدى
أنا حرٌّ رغم قضبان الزّمن

فاستمع لي ... إستمع لي إنّما
أذُنُ الجيفة صمّاءُ الأُذُنْ

* * *

الملايين أفاقت من كراها
ما تراها ملأ الأفْق صداها

خرجت تبحث عن تاريخهـا
بعد أن تاهت على الأرض وتاها

حملت أفْؤسها وانحدرت
من روابيها وأغوار قراها

فانظر الإصرار في أعينهـا
وصباح البعث يجتاح الجباها

يا أخي في كل أرضٍ عرِيَتْ
من ضياها وتغطّت بدجاها

يا أخي في كل أرض وَجَمَتْ
شفتاها واكفهرّت مقلتاها

قم ... تحرّرْ من توابيت الأسى
لست أعجوبتها أو مومياها

إنطلقْ فوق ضحاها ومساها
يا أخي قــد أصبح الشعب إلها .

مات غــداً

ماتَ !
فلم تحزن عليه قطرةٌ من المطرْ
ولا تجهّمت أوجُهُ حفنةٍ من البشَر

---

١ – الدمن : المزابل .

ولا أطلَّ ذات ليلٍ فوق قبره القمر
ولا تلوّت دودة كَسْلى ..
ولا انشقَّ حجرْ
ماتَ غداً ..
متّسخ الجثةِ ..
منسيَّ الكفنْ
كحُلُمٍ ..
— واستيقظ الشّعب —
كإعصارٍ نَتَنْ !
مرّ على حقول الورد ساعةَ السَّحَر

* * *

مات !
وملء روحه المسودّة المحترقه
ماضٍ يغطّيه دم المشانق المعلّقه
وصَرَخات الثائرين في السجون المطبقه
وأوجه العجائز الأليمة المشقّقهْ
وهنّ يرفعن الى السّماء ..
في أسىً ذليلْ
أذرعةً معوَجّةً مثل مناجل الحقول
وأَعيناً يغوص فيها ظلُّ مشنقه

* * *

— يا ابني .. !
ترى أين مضى الجند بوجهك الحبيب ؟
فحرموني شمّة الثّوب .. ونشقة الطيوبْ

لله .. ما أجمله ابني .. في شبابه القشيب
كأنما يمشي على كلّ عواطف القلوب
إبني .
وأوصد السجّان بابَ سجنه الكبير
وزحفت سلسلة راح يجرّها الخفير
وانهار كرباجٌ يلفّ الليلَ بالنّحيب

* * *

ـ وأنتَ يا أبي !
ألن تعودَ لي قَبْلَ الشّتاء ؟
إنّا جميعاً لم نزل نبكي ..
نضجّ في البكاء
أنا ، وإخوتي ، وامي
في الصّباح والمساء
فعُد لنـــا
كي لا يُسمّونا يتامى فقراء
كم مرّةٍ سألت كلّ الناس في حزن شديد
أبي بريءٌ .
فلماذا صفّدوه في الحديد ؟
فأطرقوا
كأنهم جميعاً سجناء

* * *

وذات ليل طرقوا البابَ ومرّوا داخلين
من أنتمُ ؟
ماذا تريدونَ ؟

وماذا تحملون ؟
أما كفاكم أنهم وراء قضبان السجون ؟
لكنّهم ألقوا إلى قرب الجدار جثّتَه
وحدّقت فيّ وجوه الذّكريات الميّتة
وجفّفت مدامعي دموعُ الآخرين

* * *

ـ غداً يمرّ موكب الجوع بدربنا القَذِر
فاخضوضري يا سنَواتِ القحطِ
وانزل يا مطرْ ..
أغرِقْ حقول الأرْزِ والقمحِ
وأغرق النّهَرْ
وامسح بكفك الرّمادية أَحزان الشجر
لا بدّ أن تُصبح يوماً غلّة الحصاد لي
وتصبحَ السماءُ والأرض ومجرى الجدولِ
وتنتهي مجاعة التراب ،
والبشرْ .

* * *

وذاتَ يومٍ مظلم رطبٍ
كسردابٍ طويل
صحا يهزّ راحتيه في تشنّج ذليل
وكانت الأيدي التي تحكي مناجل الحقول
تمدّ في عينيه سوداء كأشجار النّخيل
فانهار فوق الأرض

في حَشرجةٍ يمزّقه
ثم تدلّى من جدار الأفق حبل مشنقه
وجثّةٌ باردةٌ تسقط في الحقولْ

الطوفان الأسود

لقد غسل النّور أرضك ... حتى سراديبُكِ الرّطبةُ المظلمه
مشى الفجر فيها بأنفاسه يفضّض أيامك القادمه
فهل تسمعين أغاني الزنوج تدوّي مثقّلة بالحياه ؟
وهل تبصرين وجوه العبيد تقهقه حول نعوش الطغاهْ ؟!
لقد كنت مقبرة ضخمة تدوس عليها خيول الغزاهْ
وكنت بقية أسطورة ملوّثة ... بصقتها الشفاه !

* * *

بلادَ العبيد ! إفريقيا يا بلادَ الزنوج الحفاة العراه
ترى كيف يمشون في عُرْيهم وكيف يعيشون خلف الحياه ؟
وأجسامهم ذلك الأبَنُوسُ العجيب المفصّلُ مثل البشر
ونيرانهم في شِعاب الجبال وأطفالهم في بطون الشجر ...

* * *

ـ متى أجدُ المالَ ؟ كي أشتري حذاءً ، وكلباً ، وثوباً جديدْ
وأمضي إلى أرض افريقيا لأصطادَ قافلةً من عبيدْ !
فانّي امرؤٌ أبيضٌ كالثلوج ولست عظيماً ... لأني فقير
وقد كان لي رِفقَةٌ ... ثمّ عادوا سَراةً عظاماً فلِمْ لا أسير ؟
لكم أشتهي جسداً دافئاً مهيباً ... لزنجيّة جامحه ...

فقد قيل لي إنّ لحوم الجواري لها نكهة ... ولهـــا رائحة !

* * *

بلاد الكنوز أفريقيا يا بلاد الزنوج الحفاة العُراه
سآتيك يوماً كغازٍ جديد يريد الغنى ويريد الحياه
كذلك عشتِ أُلوفَ السّنين تخرّين فوق خطايا وَثَنْ ...
إلى أن تسلّل ضوءُ الصّباح إليـــك فمزّقت عنك الكفن
وقمت كماردة تتلقّى الضحى وتحوّلُ مجرى الرياح
وتحفر تاريخها من جديد على جبهة الشّمس حفر الجراح !
فهل تسمعين أغاني الزنوج تدوّي مثقّلة بالحياه
وهل تبصرين وجوه العبيد تقهقه حول نعوش الطغاه ؟ !

* * *

كذلك كان يغنّي لهـــا ويقرع ناقوسه في جُنونْ
وإنْ لم تزل تتلوّى القيود على قدميها وتُبنى السجون
على أرضها ، وتقام المشانق ترتجل الموت في كل حين
فقد كان يحمل في روحه تمرُّدَ أجداده أجمعين
تمرُّدَ جدٍّ قضى ليلةً يصبّ المياه على الموقدِ
ولمّا أبى ..! مزّقته السّياط ، فحطّم جمجمة السيّد !
وآخر كانت تنام الشّياه وتصحو عـــلى صوت مِزمارهِ
وفي ليلة كفَرَتْ روحه بجزّارها وبجزّارهِ
فهبّ فأشعلَ أحقادَهُ فسالت جحيماً بوجـــه الصّنَمْ
وأبصره الغدَ فوق الرمـــال تكفّنه عِزّةُ المنتقمْ !

* * *

وآخر أسود بادي العبوس طويل رفيع كصاري سفينه
وقد حدّثوا أن ميلاده بإحدى ليالي الشّتاء الحزينه
كما حدّثوا أنّ أول جيش من البيض دنّس أرض الوطن
ينام بمقبرة حفرتها محاريثه خلف سور الزمن
وقد كان يؤمن في عمقه بحرّيّة السود والكادحين
وحتّى الطغاة الذين انتهوا وآلهة البشر الساقطين ...

* * *

وكالموت حين يغطّي الحيـــاة بأفراحها وبأحزانهـا
وكالصّمت حين يضمّ الحقول بأصواتها وبألوانها
تراءت له مثل صفصافة تفيء إليها جموع الظّلال
وكانت أكفّ الهجير الضرير تسمّر أقدامه في الرمال
فوسّد أحزانه صدرها وأطبق أجفانه في سكون
كميْتٍ تداعبه موجة وتهوي به في اصطخاب حزين
وراح يرى ملء أحلامه جزائرَ غارقة في الغمام
يظلّلها نَغَمٌ أزرق ... شفيفٌ ، شفيف بلون السلام
وكانت هنالك عند الشمال حقول متوّجة بالغـلال
وقوم من السود مستغرقون يرصّون أكداسها في التـــلال
وأصواتهم وزغاريدهم ترفرف صاعدة من بعيد
كما يتصاعد كلّ صباح ضبـــاب الحقول ببطء شديد
وحين تصفّ طيور الغروب على الأفق أجنحها المُذْهبات
وتمضي تنقّر ثوب السكون بكل مناقيرهـــا المتعبات
تراهم يلوحون فوق الدروب أو يتوارون خلف الشجر
وهم عائدون إلى دورهم بأيدٍ مثقّلة بالزّهَرْ

* * *

وأسكره حُلمهُ العاطفيّ فبعثر أشواقه أجمعين
وعانق إخوانه باكياً ومدّ يديه إلى الآخرين
وهزّته أفراحهُ ... فأفاق على ظل صفصافة واقفه
وكانت جموع الزنوج العُراة تحرّكها ثورة العـــاصفه
فسار يغنّي مع السائرين وهم زاحفون الى الطاغيـــه
ويحفر فوق جدار الزمـان أغــانيَ أفريقيا الداميه !

النهر الظـامىء

أُريد أَن أَعشقَ .. أن ألمس الاعمـاق ... أن ألمس أعماقي
أن أعبد الله كما لم أكنْ أعبـــدُهُ في عمريَ الباقي
بي ظمأ ... بي ظمأ قاتلٌ فأين ينبوعك يا ساقي ؟
أكاد لا أبصر حيث ارتمت عيناي إلاّ دم أشواقي
أطفىء بإعصارك هذا اللّظى الأسود في قلبي ... وأحداقي
أطفئه إني نهَرٌ ظاميء للحبّ .. في جنّة عشاقِ

. . .

إن هزّت الرّيشة في أنمل الرسّام في سكرة إبداعهِ
فالصُّورة الشّوْهاءُ .. ما ذنبها ؟ ألم تكن غلطةَ إسراعه
وكيف تُشقيني بما لم تكن لي طاقةٌ في رسم أوضاعه
سئمتُ جَدْبي في ربيع الورى وظلمتي في نور إمتاعــــه
وثورتي في ظــــلّ أحلامه وصرختي في صخر أسماعه
سئمت ضعفي .. آه للبئر لو لم تطلع الشمس على قاعـه

. . .

وآه لي لو لم يُعانق دمي كرمتها ... كرمة أحلامها ...

وآه لي لو لم يذوّبْ فمي في هذا الجفاف الضّخم في جامها
ولو تدثّرتُ بموتي ولم تلفّني خضرةُ أيّامها ! ...
ولم أباركْها بصوفيّتي ولم تُطهّرْني بآثامها ..
لسوف أحيا في الورى ثائراً على معانيها وأحكامها
محتقراً كلّ نواميسها حتى ألوهيّة أصنامها

...

قالوا لك الفنُّ .. ولم يجتمع في كائنٍ قبلَكَ مجْدانِ
والفنُّ أشواقٌ ألوهيّةٌ تولَدُ في أعماق إنسان
والفنُّ أقباس سماويّةٌ والنّاس ألعوبة فنّان
فخلّ للفانين دنياهمُ فإنها معرض ألوان
وامش بآلامك في عيدهم فإنّها آلامُ رحمانِ
واحمل بجنبيك جراحاتهم وخلّدِ القسوة في الفاني

...

فقلت والرّغبةُ في داخلي عاصفةٌ ماردةٌ .. عاتيه
يا ليتني راعٍ عتيق الرداءِ ذو عصا مشقوقة باليه
شرابُهُ من دمعة السّاقيهْ
وقوتُه من مهجة الدّاليهْ
يسوق للغابات أغنامه وروحُه كروحها صافيه
راعٍ له صاحبة ترتجي عودته في اللّيلة الشّاتيه
حتى إذا عاد إليها ارتمت في حضنه أدمعها الهانيه

...

يا ليتنيَ فراشُ نحْلٍ جناحاه على هيكله شُعلتانْ

يعيش في منعطفات الشّذى فوق حدود الوهم ، فوق الزمان
ورَشفَةٌ ترْويه ... أو رشفتان
وحَسْوةٌ تَغذوهُ ... أو حسوتان
حتى إذا عاد إلى عشّه الشّمعيّ في أودية السّنديان
خفّت له أُنثاه فرحى .. وفوق مقلتيها نبَتَتْ دمعتان
يا ليت قلبي قلبُه ، ويدي جناحُه وموطني اللاّمكان

• • •

يا خالقَ الانسان من طينةٍ وخالقَ الفنّان من طينةِ
عذّبتني بالفنّ ... عذّبتني بهذه النّار السماويّةِ
لسوف ألقاك غداً صارخاً بكل ما فيّ من اللّوْعة
لم تُشقني دمامتي في الورى ... لم تشقِني إلاّ حساسيّتي
أَدْعوك لا تُشقِ بها كائناً بعدي فهذي النار من قسمتي
رضيت أَن أفنى على وهجها لكي يعيش الفنُّ في مهجتي

الشك

كان الدُّجى أسود من لعنةٍ من صَرخةٍ حاقدة في الصُّدور
وكان طول الدّرب طول الأسى طول اكتآبات شبابي النّضير
وكانت السُّحْبُ تغطّي السّما كأنها أكفانُ مَيتٍ فقير
وكنتُ أمشي مُتخماً بالرّدى كدودة تزحف بين القبور

* * *

وكنتُ في فكريَ ، في أعيُني كنتُ أمامي في الفضاء الكبير
إمرأةٌ عريانة ترتمي فوقَ سرير خشبيٍّ صغير

سمعت وحدي خلف سور الدُّجى | خلف سكون الكائنات المثير
رجفتها رجفة صفصافة | تهزّها ريحُ مساءٍ مطير
حتى تعرّت كلّ أغصانها | من غرّة النور ، ومجد العبير
فارتعشت كلّ معاني الورى | ساقطة تحت حذائي الحقير
وانهار في سمعي صدى معبدٍ | يهوي الى الأرض حزين المصير
وعانقتني نقمة لم تطُفْ | يوماً بأعماق إلهٍ صغير .
وانبعثت ناريَ مسعورةً | تأكل في صدريَ حتى الضّمير
لكنّني بالحقد أطفأتها | أطفأتها بالاحتقار الكبير
فأيّ أنثى .. أيّ مخلوقة في الأرض تستأهل هذا الشعور ؟؟

قطرة الضوء

يا جفنيَ السّاهدَ .. نمْ | قد رقدت حتّى الظُّلَمْ
حتى حقول الحنطة | المتّشحات بالسّقَمْ
حتى مسارج الزّيوت | العالقات في الخِيَمْ
حتى عيون الأفُق | المنطفئاتُ في سأم
حتى مباخر الشّذى | حتى مراوح النَسَمْ
حتى أراجيح الظّلال | الرّاقصاتُ بالقمم
لم يبق في الوجود .. | كائنٌ سوانا لم يَنَمْ
نحن الذين نقطر الضّوء | بأجفان الرِّمم ..
يا كم تكحّلنا بليل.. | وتدثرنا بهمْ ..
وكم مشينا فوق شوك اليأس من نجم لنجم
وكم حرثنا حقلنا | بفأسنا الأعمى الأصَمْ

وكم حصدناه .. حَصدْنا ما زرعنا .. ثمَّ لمْ ..
بلى .. جنينا ملء أيدينـا جراحات .. ودَمْ .
كأنـّنا لمـا زرعناه بذرنـــاه ألمْ ..

* * *

يا جفنيَ السّاهدَ .. نمْ قد رَقدت حتى الظـُّلمْ

نحـو الصبـــاح

حيرانُ .. يقظانُ يا فؤادي والنّاس هانون راقدونا
اللـّيل نحو الصبـــاح جسرٌ بنى الدُّجى فوقه الحصونا
تعبره الكائنـات وَسْنى بينـا عبرناه ساهرينا ..
فامشِ معي ، إمش يا ابن ذاتي ، ولْندع القوم حالمينا ..
لعلـّنـا ندرك الأمـاني من قبل أن نُدْرك المنونا .
لا تحسد النّاعمين .. وأحسد بني العذاب المسهّدينا
أولاء آباؤهم بنوهم .. ونحن من يبتني البنينا ..
ومن يرُمْ مثلـَنا طموحاً ، هيهـاتَ أنْ يُطبق الجفونا
والنـّومُ للخاملين .. لا للمكبّلين .. المعذّبينـــا
لستُ ابن من أقطـَعَ الرّعايا ولا ابن من شيَّد السُّجونا
إبنُك يا شَعْبُ .. يا صباحاً يستلُّ أنفاسَه دفينـا

مـاذا أرى يا ظلام ؟ ركباً تحت الدّياجي محدّبينا
حافين عارين لاهثينا باكين شاكين ضارعينا
وراءهم مـاردٌ رهيبٌ يزرع في الأنفس الشّجونا

تقطر جنبـــاه كبرياءً ويغتلي صدره جنونا
يدوس هذي العظام دَوْساً كأنّه طاحنٌ طحينا ..
فابك معي موكبَ الضّحايا يُصعّد الشجوَ والانينا
رواية مثّلت قديماً مثلها « خَفْرَعٌ » و « مينا »
ولم يزل بعـد ألف قرن فرعونُ يستعبد القرونا
قد سارت الكائنات قِدْماً ، فما لنا نحن جامدونا ??

ماذا أرى يا دموع ? قصراً أراده المجد أن يكونا
حيطانه تلك ! أم مرايا من فوق حيطانه جُلينـا ?
كأنّ جدرانه الزّواهي سُقين بالشّمس .. أو طُلينا ..
يا جنّة الخـلد في مـداه وحوله تفتن العيونا
إنّا عدمناك مشتهينـا كما اشتهينـاك معدمينا
لا تعبقي بالنّسيم .. إنّا من نَتَنِ الكوخ زاكمونا
لا ترقصي للربيـع .. إنّا من ظلمة الكوخ قد عمينا

ماذا أرى يا حياة ? إني جُننت من حيرتي جنونا
قبرانِ .. ? ذا شيْدَ مِنْ رُخامٍ تخطف ألوانه العيونا
وذاك في صخرة نحيتٍ أقسمتُ مـا كاد أن يَبينا
هذا عليه الرّبيع ضافٍ يرفّ ورداً وياسمينا
وذاك يمشي الخريف فيـه يبارك العَوْسَجَ اللعينا
ويلاه يا عدلُ .. يا سطوراً تنطق بالسُّخريات فينا

حتى أمامَ الفناء فرقٌ ميّزنا جَوهراً وطينا

يا أمّةً تعبد التّماثيل والطّغاة المتوّجينا
أقسمتِ لا تحملين إلا منافقين أو كافرينا
فامشِ معي . إمشِ يا رفيقي .. مثليَ مستغرقاً حزينا
فماسة الصّبح قد أشعّت والقوم قد فتّحوا الجفونا

امرأة عاشقة

لا ... لم يكن وهماً هواكِ ولم يكن وهماً هوايْ ...
إنّ الذي حَسِبتِه روحُكِ قد تبعثر في خُطايْ ...
مازال طفلاً صارخاً جَوْعانَ يرضع من دمايْ !

* * *

وتردّدين ... وأنت ذاهلةٌ ... مطأطئة الجبين !
كيف استَحلْتِ على يديه تراب تمثال مَهينْ ...
كيف اختفت أيامه البيضاء من عمري الحزين !

* * *

وتردّدين ... وملء جسمك ... رعشة متندّمة...
كم كان يهواني .. ! ويعبد روحيَ المتألمّه
ويودّ لو يُلقي ضياه على سمائي المظلمه

* * *

وتضجُّ في دمك الشهيّ مجاعةُ الشوق الدفين

فأراكِ في جدران غرفتك الحزينة تركضين ...
كالنور في قيد الدُّجى ... كالدمع في عين السجين !

* * *

وأراكِ مطرقةً على الأوراق في صَمْتٍ ضَجِرْ ...
وهمومُكِ السوداءُ حولكِ مطرقاتٌ تنتظر ...
كعجائز متجمّعاتٍ حول مَيْتٍ يحتضر !

* * *

ويمرُّ يومُكِ ميّت الخطواتِ كالشَّيخ الضرير ...
أسوانَ يُثْقله الدُّجى ... والرُّعْبُ ، والمطرُ الغزير
وتطلّ خلف زجاجة أطيافُ شاعرك الأثير !

* * *

وتجيء مركبة المساء بصوتها القَلِقِ الكئيبْ
سوداء تجثم فوقها أقدام عِمْلاقٍ رهيب
وتجرّها خيل محدَّبةٌ ... كألسنة اللهيب

* * *

وتروح واقفةً ببابك في عنادٍ تنتظرْ ...
فأراكِ هابطة تشد خطاكِ أغلال القدرْ
حتى إذا ضمّتك ... غابت في الظلام المعتكرْ .

* * *

وتظلّ توغل في المسير تشقُّ أستارَ الغيوب
وتظلُّ تقذفها الدروب النائيات... إلى الدروب ...
ويظلُّ قلبُك ... مُغْلقاً فوق المواجع والنُّدوب

* * *

وهناك خلف جزيرة مجهولة خَلفَ البحار ...
تنمو على شطآنها السوداء أَحزانُ النهار
وتشبُّ أَشجار الخطايا مثقلاتٍ بالثمار

• • •

ستكفُّ مركبة العواصف عن موالاة المسير
وستهبطين غريبة ... خرساءَ جامدة الشعور
تتكلَّمين بلا صدىً وتقهقهين بلا سرور !

• • •

ولسوف يزحف ألف وجهٍ ألف عبدٍ ماردٍ ...
من ألف كهفٍ مظلم من ألف قبو بارد
ولسوف يستبقون نحوك في عويلٍ حاقدٍ...

• • •

ولسوف تضطربين في ذعر عميق النظرةِ
وتموت صرختك الرهيبةُ في ضجيج الزَّحمة ...
وكأنَّما حملتك رجلا آدميّ ميّتٍ !

• • •

لكنّ أجنحة محلّقةً ستُقْبل من بعيد
في لهفة مجنونة تطوي انتفاضتها الحدود
وتضمُّ رعبك في أسىً وتعود في وَلَهٍ شديد

...

وستُطبقين جفونك المسحورة المتبسّمه
والحب يوقد في سراديبِ الكآبة أنجمه
وعلى شفاه الكائنات قصيدة مترنّمه

...

لا لم يكن وهماً هواك ولم يكن وهماً هواي
إن الذي حسبته روحك قد تبعثر في خطاي
ما زال طفلاً صارخاً جوعان يرضع من دماي

محي الدين فارس

ولد بأرقو عام ١٩٣٢ م.

قضى الجانب الأكبر من عمره في مصر، واستقى وعيه الثقافيّ منها .

له ديوان شعر ظهر عام ١٩٥٦ باسم « الطين والأظافر » .

بدأ فارس حياته شاعراً رومنطيقيّاً رمزياً يشكو غربة الرّوح، وعذاب الوجدان، ويلوب قلبه محترقاً « ظمآن للأسوار ضالـّه، نهر السـّراب فأيةً يردُ، شبح الخطيئة في مدارجه، ومواكب الأشباح والنـّكد . مات أبوه، أمه ماتت فيا للقدرِ، تمزّق الشراع في نهر الحياة العكر، وانطفأ المصباح في دنياه دنيـــا الصغر، ومرّ لم يحفل به قلب الزمان الحجري، كأنه خطيئة في الأرض لم تستتر، أو أنه من خوفه يعشي عيون البشر، يجترّ من ماضيه ما يثير باكي الصـّورِ » .

ورويداً رويداً شُفي فارس من داء الرومنطيقية، وعـــاد من أفق الضلالة والتّيه، الى أرض الحقيقة والواقع، فتحرّرت نفسه من أوهامها، وفتح عينيه على شعبه وبلاده، ورأى سير التاريخ وحركة التطوّر، فخرج مع جموع الناس الثائرين ضد العفونة والتفسّخ والاستبداد، ضـدّ « الطين » وراح يبحث « عن أرض الحقيقة، والمساواة التي تنعم في أحضانها كل الخليقة، حيث ينمو الزهر من غير أوان، حيث لا تنبت في الأعماق أشواك الهوان .. ليصبح الوجود غُنوة تموج بالعبير، ليهمس الغـدير للغـدير، لتصدح الطيور، لتلتقي الدموع بالدموع والجراح بالجراح، ويلتقي الانسان بالانسان في عناق » .

هذا التغيّر في المحتوى عند فارس اقتضى تغيّراً في الشكل فتخلـّص الشاعر من القوافي المطـّردة، والبيوت الكاملة « وراح يستعين بالمجزوءات، ويطوّع شعره للحدث الذي يتمرس بـه مستعيناً بأكثر من وزن شعري واحـد في القصيدة الواحدة حرصاً منه على صدق التعبير عن التجربة » .

السّلام الأخضر

أنظري ...

أَصابعَ الفجر على شُبّاكنا المنوّرِ ..

قد نمنمتْ سِتارةً من نسجها المشجَّر ..

واستيقظت جاراتُنا الأطيار عند الشّجر ..

تصغي إلى حديثنا المنغوم في تستّر ..

وهـذه الشّمس على ذوائب الخميلةْ ..

أَرْخت ضفائر السّنى جديلةً ... جديله !

حبيبتي ... حبيبتي ... يا زهرةَ القرنفلِ ..

يا غُنْوةً هامسةً على شفاه الجدولِ ..

حبيبتي... حبيبتي... يا أُخت قلبي الشّاعر ..

سوقي معي الرّياح عن درب الحياة الأخضر

مدّي معي يديك نقطفْ زَهَرات السّوسن

وفي دروب العوسج ...

خوضي معي ... خوضي الى ضفاف الوهَج ..

سنفرش الدّرب غداً بالفُلّ والبنفسج

إني هنا أرسم لوحاتِ السّلام الأخضر

ليصبح الوجود ُغنوةً تموج بالعبيرْ ...

ليهمس الغدير ... للغديرْ ...

لتصدح الطيورُ ... للطيور ...

لتلتقي الدموع بالدموع والجراحُ بالجراحْ

ليلتقي الانسان بالانسان في عناقْ

وفي ربى إفريقيـه
وفي ليـالي آسيه
فلا تئنّ راعيـه ..
ولا تنوح ساقيه ..
وطفلتي فراشةٌ تمرح فوق الرابيه

الطفلة الشاعرة

ما زلتِ طفلهْ
يا فتنتي ما زلتِ طفلهْ ..
تجرين خلف فراشة وتحاولين صعود نخلهْ
وتعذّبين هناك نحلهْ ..!
وتثرثرين مع الغدير الطّـفل وادعة مُدِلّـه [1] ..
وبنيت قصراً حالماً ورسمت فوق الرّمل ظُلّـه [2]
وسكبت فيه جزيرة مائيّةً ورتعت حوله
وحسبت أنك من نوافذه مُطلّـهْ
ما زلتِ طفلهْ ...
يا فتنتي ما زلتِ طفله ..

وهناك تحت ظلال رَبوهْ ..
كم كنت تستلقين يا سمراءُ في أحضان نشوه ..
وتُنَغّـمين قصيدة طفليّة الأوزان حلوه ..
يا فتنتي دنياك حلوه ..
دنيـاك حُلوه ...

---

١ — أدلّ عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه . ٢ — ما يستظل به من الحر أو البرد .

وتصيح راعشة الحنين وتبعث الأنغام نشوى ...
سأذوب شَجْواً ...
سأعيش لا كالناس ، كم ملأوا فجاج الأرض لَغْوا
سأصير شاعرةً بأنغامي ضميرُ الكون يُروى
يروي كنارُ الغاب ألحاني صباباتٍ ونجوى
أنا لستُ طفله
يا صاحبي أنا لستُ طفله !

الطين والأظافر

إني كسرت قواقعي
وغداً سأطلق للرياح زوابعي
وسأستردّ مرابعي
وشواطئي ... وخرافيَ البيض الصّغار تشقّ خضر مراتعي
وأروح أخطر حالماً نشوان ... بين مزارعي
شبّابتي لحنُ الغدير ... وثرثرات منابعي !...

***

إني كسرت قواقعي
وتمرّدتْ نفسي الحبيسةُ في قديم صوامعي
خَلْفَ الحياة ... وخلف أسوار الظلام القابع
وأصابعي ...
هتكتْ سراديب الأفاعي الكامناتِ ... أصابعي
فأضاتُ قلب كهوفه ... ورأيت كنز مزارعي ...
وجماجم الأجداد مُطفأةَ الدخان الشائع .

وهنا . . قوارير [1] ... معبَّأة بسمّ . . ناقع
وتــكاد تحرق ناظراه ... شموع قلبي الساطع .
فرأيته . . وضميره عريان . . مرتجفٌ . . كطير جازع
فتلعثمت كلماته . . يا لَلقناع الخادع !..

***

إني كسرتُ قواقعي
وعرفت من عاشوا هناك . . بقارتي السوداء بين مرابعي
رضعوا حليب كنوزها ... ورموا قشور مزارعي
وأنا هنا بين القطيـع الضائع ...
... عبد . . تقيّدني سواقيه أضمّ مواجعي
أفريقيا ... دقّي طبولك للصباح الماتع
... فمواقعي
عند انهيار الموت ... هنّ كما عهدتِ مواقعي
فعلى موائدكِ الغنيَّة كم غرابٍ واقعِ
والقادمون من البعيد إلى كنوز منابعي
وعلى الثغور وضاءةٌ ... والنابُ طيّ براقعي

***

إني كسرتُ قواقعي
فالويلُ للقرصان . . قد سَرَقَتْ طواياه البعاد مسامعي
وغداً سأطلق للرياح زوابعي .
وسأستردّ مرابعي ...
وستستحمّ جزائري . . بالنور . . بالنَّغَم الشّفيف الساطع
فهنا صدى ناعورةٍ . . تبـكي بغير مدامع

---

[1] ــ قوارير : جمع قارورة وهي إناء يجعل فيه الشراب .

وهنا . . هنا سرب الكراكيّ الجميل . . الوادع
يختال بين منابعي .
ويعوم في بُرَكِ المياه . . يحوم حول مزارعي
والأرض لي . . إني ضمَدْتُ جراحها بمباضعي . . !
وحويت كلَّ كنوزها العصماء بين أضالعي
إني كسرت قواقعي . . .
وغداً سأطلق للرياح زوابعي
لا . . . لن تعود إلى الوراء طلائعي

راقصة الحانه

كلهيبِ تنُّورِ
وكشهقة حمراءَ في أعماق ماخورِ
. . . كانت تلوّى كأعاصير
وتميل راقصة على أنغام طُنبور
كجناحِ عُصْفور . .
في مرقص متضاحك الأضواء بلّوري
والقومُ مختلطون حرَّكَهُمْ نَوْحُ المزامير
سكّيرةٌ تهفو [1] لِسكّير
والكأسُ فائرةُ الحَبَاب كأنها رَغَبات مخمور
وتميس بين مواكب الحُورِ
يتبعن خطو ثيابها خَدَماً كآلهةٍ من عهد آشور
طوراً يَمِلْنَ مع اللّحون وآنةً يحكين [2] أصوات الشحارير
والحانُ شرقيّ الستائر رافه الأضواء أسطوري
حتى الصخور هنا . . . تجوع تحنّ للنور

---

١ — هفا فلان : طرب وطاش وخف .   ٢ — يحكين : يشبهن .

لمراشف الحور
والليل كالسّور
غطّى الخطايا السُّود ... كالسّور
تحكي بأعصاب ممزّقة شتى التعابير
في رقصة زنجيَّة محمومة مثل الأعاصير
وتبيع للشارين أدمعها خمراً معتقة القوارير
بثّوا قرارَ الكأس َشجوهمُو ... ودموعُهُمْ َشجْوُ المزامير
وتقول للنيران في دمها ... ثوري . . ظمئت إلى اللّظى ثوري
قلبٌ نوافذُهُ مفتّحةٌ للريح ... والظّلُمات والنور

***

كلهيب تنُّور
وكشهقة حمراءَ في أعماق ماخور [1]
كانت تلوّى كالأعاصير
وتميل راقصة على أنغام طنبور
حتى إذا الليل الضرير ذوى وتساقطت كلّ النجوم
كأنها عبرات مأسور
عادت تجرّ وراءَها صَمْتَ الدياجير [2]
عادت إلى كوخ حقير مظلم النور
حيرى كتمثال تعذّبه نَقَرات « إزميل »
حيرى بمشتبك الدروب . . وحيدة كزُغَيْبِ عُصفور
وبعينها في العمق أخيلةٌ سودُ التصاوير
ودروب آلامٍ مبعثرة . . طيّ الأسارير [3]
وأسى كمانٍ خافت الأنغام مكسورِ

---

١ – الماخور : بيت الدعارة . ٢ – الديجور : الظلام .
٣ – الأسارير : الخطوط في الوجه .

القرصان الكبير

كنّا نسيرُ بلا زمانْ
والصّمت يَزدَرِدُ[1] المكانْ
ونقولُ في آتي الأوانْ ...
الفجر .. من خلل الغيوم يُطلُّ .. في آتي الأوان
والأفق مجمرةٌ تناثر عن جوانبها الدّخان
كنّا .. وكان القفر والدّرب القديم بلا زمان
والسيّد الطاغي القصيرْ
قرصان قريتنا القصير
ما زال يعتصر الكروم
كالثّعلب الليليّ يفترس الفراخْ
ما زال ينصبُ في القلوب الغُفْل آلاف الفخاخ
ليميت في المصباح شهقته الأخيره
ويرشّ فوق رؤوسنا دَعَواته ويذيب نوره ..
وهنا اخضرارْ ...
قصرٌ ... وآلهةٌ كبار
وعمالق الشرق القديم ... تضيء في اللّيل النهارْ
وشهرَزادُ لم تزل نوّارة خَجْلى ...
يفتّح ثغرها .. ثغر النّهار
وتدير آلاف الرؤوس الخاويات .. بغير راحْ
والخمر .. والسَّمَرُ المُتاحْ
حتى إذا دَلَفَ الصّباحْ ..
متثائباً .. نفضت لياليها الملاح

---

١ – يزدرد : يبتلع .

ومن بعيدْ ..
ألجندُبُ [1] المذعور يهمس من بعيد ...
أصداءَ موسيقى العبيد
التّائهين بلا صباحْ
السّائرين بلا .. دليل ..
والطنضبات [2] .. على الكثيب يلفّها ذلّ الغبارْ
معروقة .. أكل الصغار ثمارها ومضوا يسوقون القطيعْ
تِلوَ القطيعْ
وأخي .. وأختي والصّغارْ
يتململون هناك في ظلّ الجدار
ويهمسونْ ...
سيمرّ طوفان « الكرامات » الغزارْ
« والشّباب » سيُنشدونْ
ويوقّعون قصيدة تُروى عن الربّ الكبيرْ
ربّ الجزائر والقصورْ
ويردّدونْ .. !
ولَكم شقيٍّ ما يزال يسوق ساقية الإله
في اللّيل غامتْ مقلتاه
واللّيل عملاقٌ تمدّدَ في المياه
كاللّص .. كالقرصان .. منتفخ الجوانح .. كالاله
ذاك الاله
قد جاء من بلدٍ بعيدْ ..
مثل الجرادْ
حملته أجنحة الرّياح إلى البلاد
فأتى يمثّل دوره .. ذاك القديم !

---

١ – الجندب : نوع من الجراد ، القبوط .
٢ – الطنضبات : نوع من الشجر يؤكل ثمره في السودان .

وبلا حصاد ...
كنّا نعود بلا حصاد ..
وتظلّ ترمقنا النُّجوم
وتروح تهمس في وجومْ
وترشّ ضحكتها الوضيئة بين أطلال الغيوم
وتروح تجذب معطف اللّيل القديمْ
فكأنما تؤذي نواظرها عباءات الهموم
نمشي بها وكأنّنا رؤيا جُسومْ ..
والرّفش مكتئب على أكتافنا السُّمر .. الهزيلهْ
نحكي حكايات طويله ..
نحكي عن الربّ الكبير .. وعن خوارقه الجليله
ويقال أضحى الكأسُ في شفتيه من لبن هنيئه !
هم أولياءُ الله لا خوفٌ عليهم .. لن تمسّهمُ الخطيئه
وفي البلاد مجاعة عمياءُ تقتحم القفار .. !
كأنّها شلاّل نارْ
وتظلّ تهمس والعيون الذّابلات كأنها رؤيا احتضار
أطفالِ قريتنا الصغار
إنْ مرّ موكبُهُ الخطيرْ
عيناه باحثتان عن صيدٍ أخير .. !!
لكنْ إذا طلع النّهارْ
سيموت قُرْصان الجزيره
سيموت إن طَلَعَ النّهار
ويَلُمُّ أبخرة العفونة .. ساحباً وجه القفار ..
ولا فرارْ ...

الشّعب قد نصَب المقاصل لا يقرُّ له قرارْ
ومضى من القبْو الكبير يدقّ أبواب النّهارْ
ويزيح ما نسج الغبار
الشّعب ثار .. !
الشّعب ثار .. !

ذات مساء

ذاتَ .. مساءٍ عاصفٍ ..
مُلَفّعِ الآفاق ... بالغيوم ...
والبرقُ مثلُ أدمع ... تفرّ من محاجر النجوم ...
والرّيح ما تزال في أَطلالنا تحوم ...
وتزرع الهموم
واختبأت ... حتى طيور الغاب في مخابىء الكروم ...
كالطّفل خلفَ أمّه الرؤوم ...
إنطلقت بلادُنا من قبوها الضّرير
عملاقةً ... عملاقة الزّئير ...
كأنها انطلاقة الشّرار في الهشيم
كأنها انبعاثة الحياة في الرّميم [1]
بلادنا ...
بلادنا ...
يا غُنوةَ النّجوم ...
توزّعُ الضّياء ، والعبير ، والظّلال
وتزرع الغِلال

---

١ — الرميم : البالي .

والـّيل يا لحيّةٍ تمرُقُ في انسلال .. !
وكانت الشّمس ... هنا وشيكةَ الزّوال
تعصّب الجبال بالدّماء .. والتّلال
وكينيا .. جارتنا تموج في الغابات
فيالقاً .. فيالقاً .. مخضوبة الرّايات
انطلقت من قبوها البليد ..
لتكتب التّاريخ من جديد
لتفرش الدّروب للأجيال بالأنغام .. والورود
قرصانها الأبيضُ ما يزال في التّلال
يوزّع الخراب في الأطلال كالغراب
ويزرع السّهول بالدماء والخراب
وليلُها رهيب ، ..
نجومُه مطرقةٌ حزينه
كأعين اللّص تراءت حوله الجريمه ...
لكنّها تسير ...
عملاقة ... عملاقةَ الزّئير ...
كأنها انطلاقة الشّرار في الهشيم ..
كأنها انبعاثة الحياة في الرّميم

***

وانتفضت ... حتى الصخور الصّمّ للميلاد
وارتعش الجماد ...
واعشوشبت كلّ الرّوابي الخُضْر والوِهاد
للبعث .. للحياة .. للميلاد ..
انتفضت من قلب إفريقيا ومن آفاقها البعاد
مواكب العبيد ..

لتكتب التّاريخ من جديد
هديرها .. ملء حنايا الغاب .. في مسامع الأبعاد .
يا أيّها الجلاّد ..
جلاّدنا اللّعين ..
الموت بالمرصاد ...
طاحونةٌ مجنونةٌ ... تضجّ بالأحقاد

***

طريقنا طويلْ
يا إخوتي طريقُنا طويل
تغيب في أعماقه مواكبُ الأصيل
وكم فقيرٍ كادح جراحُه ... تسيلْ
لكنّه يسيرْ !
رغم المدى .. يزاحم الرّياح والنسور
يهزأ بالهجير
تكوّمت على دروبه الفساح
جماجمٌ فارغة تعوي بها الرّياح
لكنّه يسيرْ
وفجرنا الجريح
لبلابةٌ[1] تعترش السّماء
مصلوبة .. كأنها مسيح :
ومنجل الموت الرهيب في الدُّجى يجولْ
والجثث الملقاةُ .. في مراقد الوحول
أكفانها وحول ..

---

١ – اللبلاب : نبت يتعلق على الشجر .

تدوسها .. تدوسها مراكب الخيول
لكنّنا نسير
رغم المدى . نزاحم الرّياح ، والنسور
طريقنا طويل
تغيب في أعماقه مواكب الأصيل
تساندوا يا إخوتي وزحزحوا حوائط الرّياح
لتفتحوا نوافذ الصّباح
فدربنا مخضّب تلفّه الجراح

قبــــلة

هبينيَ قـُبْلـَهْ
هبيني قبله
هبينيَ بالله يا أختُ قـُبلهْ
فإنيَ ظمآنُ .. ظمآنُ .. دنيايَ .. دنيا مِملّهْ
سئمتُ مناظرها المضْمَحلـّه ...
وجئتُ إليك .. فراشاً يحومُ .. يعانق ظِلـّه !
وأبصرت قـُلـّه [1] !
على شَفَةِ الدّرب كانت مطِلـّهْ ...
فجئتُ إليها .. وكانـَتْ تعِلـّه [2] !
لعلـّك منها ارتشفت العبير لعلـّك ... أهديتها بعضَ قـُبْله
لعلـّي .! ومات الصّدى .. وارتعشتُ ...
وراحت تلوذُ بأعطاف نخلهَ ...
تـُلملمُ نظره ...
وتلقي بنظره ...

---

١ – القلة : الجرة . ٢ – تعلة : مصدر علّ أي شرب ثانية .

كمحّارة[1] ناوأتها الشّباكُ .. كعصفورة روّعتها الأسنّهْ
فقمت أُخبّئُها في ضلوعي ..
وأرتشف الخمر من شفتيها
أشمُّ العبير على وجْنتيها
أضمُّ الحياة البهيجة في ساعديها
إلى أنْ عبرتُ الخليج الكبير وأرسى فؤادي على مقلتيها !
وكادَ الدّجى .. كاد يهوي صريعاً ..
على راحة الفجر .. إلا أقلّه
ورحت أقول .. غداً في المساء .. سأرقبُ قبله
وراحت تقول وداعاً ..
غــــداً ...
... عند تلك الأظِلّه !

السلّم

ما زلت أصعدْ
وحْدي هنا ما زلت أصعدْ
والليل تمثالٌ مصفّدْ
هجرتْه آلهة القرون ، وزايلته رؤى قياصره القديمهْ
عينايَ بالأفق البعيد ترود أرْصادَ النجوم
تطوي متاهات الغيومْ
ما زلتُ أصعدْ
وحدي هنا ما زلت أصعدْ

١ – المحارة : الصّدَفة .

والريح تجذبني بمشجبها [1] العنيدْ
وأنا أريدُ وكم أريدْ
ولستُ أملك ما أريدْ
الريح تجذبني بمشجبها العنيدْ
للقاع يا أختاه تجذبني بمشجبها العنيدْ
لكنّني سأظل أصعدُ رغم إعيائي الشديدْ
النور في الأفق البعيدْ
يَنْداحُ [2] منسابا خلال سقيفة الغيم الطريدْ

***

كم ليلةٍ كنّا نشدّ حبالنا والبئرُ ما زالت قرارتها بعيدهْ
كرؤى متاهات شريده
والريح تجلدني سواعدها المديده
زادي احتراق مشاعري ... وضلوعيَ المتخاذلات
متلفّتٌ كالطير ... كنت على طريقي ... والغيوم مُروّحاتْ
سأظلّ أرتقب الحصادْ
أختاه قد حان الحصادُ حصادُ عالـَمِنا المجيدْ
سأظلّ أصعدُ من جديدْ
فلْتسخري بي يا رياح وقيّدي في القاع خَطوي
ولتطفئي كلّ الشموعْ
سأظلُّ أصعدُ من جديدْ ..!

***

الويل للمتساقطينْ
كأنهم ورَقُ الخريف على طريق العابرينْ

---

١ – المشجب : خشبات موثقة توضع عليها الثياب وتنشر ، وهنا بمعنى الخـَطـّاف .
٢ – ينداح : ينبسط متسعاً .

كانوا هنا متزاحمين على الينابيع الدّفوقه
يتسابقون كأنهم مَرَح الفراشات الطليقه
طرقت أكفُّهم النحيله
أبواب هاتيك المسافات الطويله
ثمّ انثنوا متقهقرين
هشيم أعشابٍ تذرّيها أعاصير السنين
يتلمّسون طريقهم مِن حيثُ جاءوا هاربين
أعماقهم زَيَفٌ ... وأعينهم بحيراتٌ يطلُّ بهنّ قرصان لعين
خلف ارتعاش الظلّ كاللص اللعين
كم ذا يلوح ولا يَبين
لكنّني ما زلتُ أصعد
وحدي هنا ما زلتُ أصعد
وأبعثرُ الظلّماتِ ما زالت دفائِنُها مخبّأة الكنوز
ومظلّتي في الهول كانت قبّة الليل العجوز
أبني وأهدمُ ثمّ أبني من جديد
للفجر ... للفجر الذي حنّت له نفسي المشوقه
فالبرعم الغافي بأعماقي تفتّحه أنامله الرقيقه

الفتاة التي استيقظت

إفريقيا ما عادتْ طفله
ما عادت تلعبُ في الغابه
تختبىءُ وراء ظلال الطّلحِ هنالكَ تلبسُ أعشابَه
وتبيع بجفنة خَرزاتٍ إكسير حياةٍ خلاّبَه

* * *

إفريقيا ما عادتْ طفلهْ
شبّت .. وتناءبَ نهداها ..
ما عادت تلعب في الغابه
تخشى الأشباح الجوّابه
وخطى الظـلّ
تمتدّ .. فتحسب قافلة خلف التلّ ..
تتلصّصُ في حذرٍ .. تصغي لخيوط خرير مُنسلّ
فتغيب بأعماق الأجراس ، تغيب بأعماق الظلّ
والطلّ على خدّ الاعشاب حبائلُ دمعٍ منهلّ

***

افريقيا ما عادت طفله
شبّت .. وتناءبَ نهداها
لن يحجبها ليلُ الغابه
وستخرج للعالم قلباً .. يتدفق نوراً ورغاده
وتحوط ذراعاها الأزهار وستفرش بالحبَ مهاده
وستعرفُ من داس جناها
من سوّر عالمها بالليل وراح يُطـَلسِمُ دنياها
مَن سار على جثث الموتى مَن سار على الأرض إلها

صعلوك

من مغامرات بورجوازي

ليلي خمورٌ وبغـايا	يسبحْن في شفَقِ النور
جسمٌ لجسمٍ منجذبٌ	يصُبُّ حُمّى التَنوُّر
أو للـّيل أسلاك سرير	تشكو .. ولكنْ لصُخور !

أَلوكُ أَشلاءَ نساءٍ ألقي بها خلفَ السُّور

من كلّ شقراءَ تراءت عمودَ شمعٍ بلّوري

أتبصرُ السّاق تراخت نداءَ شوق .. مخرور

وكلّ سمراء تغني أحزانَ قلب مكسور

والنّهد .. يا لأُناسٍ يشفُّ من خلف حرير

كما ينقّر عصفورٌ شُبّاكَ قصر مسحور

تدورُ والظّلمةُ سوقٌ من يشتري..سلّة نور؟

عريانة النّبع تنادي يا للجمال الأسطوري

ليلي مناقيرُ نهودٍ ليلي غريرات الحور

ليلي .. نيوبٌ جائعة تطلّ.. من غير ستور

أسرابحورٍ.. وجوارٍ يركعنَ من حول سريري

يحملن سبْعَ أباريقٍ تضحكُ من غير فتور

يرقصنَ مثل طواويسٍ والليل.. حنّة طنبور

تدور آلاف كؤوسٍ تدور آلاف خصور

أظلُّ.. والظّلمة سوق أشمُّ عطر الماخور

حتى إذا انسلّ شعاع للفجر من جبل النّور

لم يبق من رحلة ليلي إلا رمادُ التنُّور !

ولاح من خلف ضباب قصري.. كبرجٍ مسحور

أعود والليل جبانٌ يلمُّ خِيَمَ الدّيجور

ظمآن..ظمآن.. نهاري جوعٌ.. كليلي المخمور

الطفلة المومس

سألتها والشّمسُ في مفارق السماءْ

لاهبةٌ كأنّها غريزةٌ حمراءْ ..

من أنتِ ؟ يا سارقةَ الألوان والضّياءْ

يا أنتِ .. ! يا صالبةَ الأصيل في جزائر الدّماءْ
تلفّتي .. !!
تقيّأتكِ شفةُ الدّروبْ
إلى شفاه اللّيل والغروبْ
ورحلة الضّياع في مجاهل المساء
عيناكِ خادمان طيّعانْ ..
تجيب قبل الهمس والنداء
يا مِنَحاً تُباعُ للهواء .. !!
.. تلفّتي !
سنلتقي ..
في غابة الظلّ الكثيف .. نلتقي
إياكِ — ألا تذكري موعدنا .. في الغَسقِ
وأومأت .. سنلتقي !!
قِنّينتي ملأى .. ومصباحي .. جَناح الشّفق
ومُخدعي .. غُيَيْمة .. نائيةٌ في الأفقِ
نافذتي عينٌ .. فلا تخشي حديث الرّيح بين الطُّرُقِ
وموقدي .. يقظانُ .. مثلي مثلَ قلبي القلِق
عيناه لم تنطبقِ .. !!
وفي المساء أَقبلتْ تطرقُ باب الظلّ في حياءْ
وتنفثُ الجحيم في ثلاّجة الشّتاء
تفضّلي .. !
أرائكي [1] .. ما نُسجت بالمخمل ..
وبيتيَ الحقير .. في ذؤابة [2] البيوت يعتلي !
ونافذاتي فوقها الحرير لمّا يُسدلِ

---

١ — الارائك : جمع أريكة وهي سرير مزين فاخر . ٢ — ذؤابة : أعلى .

لكنّما هذا الشتاء لي صديقٌ يصطلي[1] !!
.. مواقدي ..
أعرفه .. إن يبست حلوقه كالسُّنبلِ
وراح يستجدي البقايا .. في نشيجٍ[2] مُذهلِ
أعرفه .. يعرفني .. ليل الشتاء الألْيَلِ[3]
فغمغمت .. وصوتها نعومة الحريرِ
ما هذه الأوراق ملقاةً على السريرِ
« منكوشة » في الأرض .. والحصيرِ !!
في جوّك المثير .. !!
وسكنت حمامة في وكريَ الصغير
لا تسعلي ..
فبيتنا آذانه لم تغْفَلِ !
رُبَّ جدار حاقدٍ .. يحكي الذي لم نفعل !
تدثّري .. تدثّري .. أنفاسَ قلبي المُشْعلِ ..
فالرّيح .. كبوَة الدّجى .. تـعْولُ .. ثم تهجعُ
تضجّ .. في عروقها .. رغائبٌ لا تشبعُ !!
لا تسعلي ..
وبَعدَ طوْفتين في بحيرة السّراب
التصقت بي يا لها رجفة إنسانين عادا
بعدَ يقظة التّراب !
وغمغمت حياتيَ اغتراب
هنيهةً .. وانسرق الصّباح من قوامها النّضيرْ
واغرورقت عيونُها في عالمٍ مثيرْ

---

١ – يصطلي : يستدفىء .   ٢ – نشيج : غصّ في البكاء .
٣ – الأليل : الطويل الشديد السواد .

كأنما تبحث في حقائب الزمان عن سطور
دفينةٍ .. دفينة في عتمة القبور
وغمغمت : حياتيَ .. اغتراب
ظلٌّ سؤالٍ حائرٍ من غير ما جواب
وغمغمت : قد بعت للرّياح كلّ شيء
وها أنا أبيع للرّياح كلّ شيء !!
فقلت في ذُهولْ ..
وغصّةٌ في حلقيَ اليبيس .. لا تزولْ
صغيرتي ، صغيرتي همومُك الثّقال
ترهبُها .. ترهبُها .. كواهلُ الجبال
صغيرتي لا تجزعي !
أنت انعكاس عالم ممزّع ممزّعِ
لم تبتدعه ريشة خلاقة لم تبدع
ما ذنبُها .. ما ذنبُها زنبقةٌ لم تُمرعِ[1]
قد زُرعتْ في تربة جديبةٍ لم تُزْرَعِ ؟
فغمغمت .. أها هناك عالمٌ مِنْ غير ما هموم ؟
مزوعة الزّهور .. والطّيور والنّجوم ! ..
وتورق الحياة في الصّخور كالكروم
قلتُ : أجَلْ .. مِن غير ما همومْ
وشرقنا القديم في غدٍ يكونه
وتستحمّ بالسّنا جباله .. حزُونه[2]
ويحتويكِ قلبُهُ وأنتِ تحتوينَهُ
ولا مدامعٌ سوى الغمام تبصرينَهُ

---

١ – تمرع : تخصب . ٢ – الحزون : الأراضي الغليظة .

يروي اخضرار الأرض ، تروي زهرَها عيونُهُ
فداعبت غابة شَعْرٍ حالك الظّلام
وبعثرته فوقَنا .. مظلّتي غمام
وجيدها ألمسه كمقلعي رُخام
لكنَّما الحياة في عروقه زحام !!
تُسِرُّ لي حكايةً من غير ما ختام
لذيذة لذيذة من غير ما ختام
لكنها دامية السّطور
حكاية الضّياع في مجاهل الهجير
وكانت السَّماءُ مثلَ رائق البلّور
انحسرت عن وجهها براقع الدّيجور
وأذّنت في سطحنا ديوك
وجاوبت أصداءَها في حيّنا ديوك
وغادرت بيتيَ في تكتّمٍ
لا تحذِري لا تحذري همهمةً في السّلّمِ
فبيتُنا آذانه لم ترحمِ .. !
صغيرتي الوداع يا صغيرتي الوداع
سنلتقي
ونلتقي كلّ مساء في ضمير الغسَقِ
وربما في رحلة الحياة يا صغيرتي
سنلتقي .. معاً .. معاً .. سنلتقي !!

الصدفات ... والقاع الأزرق

كتدفقِ سيلٍ جبّارِ
ملأ الأكواب الصّخريّة

تلكَ المنحوتة في الجبلِ ...
وصهاريج[1] الجبل المغرور الهازىء بالسّفح العاري
السّفح المسكين العاري
ستظلّ خُطايَ على الدّربِ
سيظلّ مع الشّوكِ الثّلجيّ صراعٌ في شفة الدّربِ
كتدفّقِ سَيْلٍ جبّار
ملأ الأكوابَ الصّخريّهْ
سأنقّب عن صدفٍ مدفونٍ في القاعِ
قاعِ الظّلمهْ
قاعِ الأيام المنهزمهْ
لن أصغيَ للموتى الأحياءِ المنحدرين من القِمّة
لن أصغيَ للريح الهَرِمَهْ
ودخلتُ هنالك في حجُراتِ الليل ، دخلتُ دروباً مزدحمه
أقبيةً غُبراً مزدحمه
ورجعت لأزرع آفاقَ الإنسان نجوماً ملتحمه
وسأغسل في شلّالات الفجر البلّوري أعماقي
وسأنزع .. أنزع من أفُقي ، ليلًا مغرور الآفاق
فأنا طائرْ
من غير جناح خفّاقِ
إنْ سرتُ وحيداً منطلقاً من غيرِ طريق ورفاقِ
ورفاقي قومٌ شرفاءُ
كزهور اللّوتس أعماقٌ بيضاءُ الصّفحة بيضاءُ !!

---

[1] – صهاريج : حياض الماء .

فتحوا لِنوافذِ هذا الكونِ ـ قلوباً روحاء[1] صبيّهْ .
كعبير التّفّاح نقيّه
فتحوا بجدار الليل ـ كُوى فجرٍ أبيضْ
ألفجر الافريقيّ الأبيضْ
وأقاموا فوق الليل جسورَ النّورْ !!
واللّيل رماد التنّور
أبداً يهوي ، ويلمّ جراحاتِ الألم
ومعاولهم أبداً تهوي تجتاح قلاعات الظُّلَمِ
أغنية تنساب رفيقاً ، ورفيقاً كبحيرة « تانا »
أغنية النّيل أبي الأنهارِ ـ تضاحكُ أمواج الفولغا
كلّ الأنهار المنعتقهْ ـ
من غير رعونة أرْسانٍ ، من غير حدودٍ منغلقه !
ومضينا نبعث إفريقيا
أرض الأصداف الخلاّبهْ
أرض الرقصات الصّخّابهْ
أرض المامبو ..
أرض التّانغو
فالأرض مخازنُ ماساتِ
وقلوب تحفظ أسراراً تستشرف شُرُفـاتِ الآتي
ما زال الكنز الأفريقي
ما زال هناك .. وراء اللّيل .. وراء الباب المغلوق !!
وبلادي ـ يا لَقلاعاتٍ ما زالتْ تبحث عن شاطىء
عن كوّة فجر رخمانٍ[2] ـ عن نبع ضياء مسروقِ

---

١ ـ روحاء : واسعة .   ٢ ـ رخمان : أي رخامي .

ولـكنْ ربّانٍ في عينيه بقايا حلمٍ مَعْروقِ
نِيرون وروما !! يا لَتلال النـّار جبانٌ في خانِ .

. . .

ما زلت أفتـّش عن نغمٍ — نغمٍ أبيضْ
نغَمٍ في كلّ تواقيعات صداه — بلادي المنطلقه
ومشينا والدّرب العاري — آلامُ سنين محترقه
والرّيح جوادٌ أفريقي
وحوافرُهُ فوق جبال الآلام شفاهٌ منطبقه
ما زلت أفتـّش عن نغمٍ ... نغم أبيضْ
نغم كمويجاتٍ طفلهْ
وجمعنا كلّ اللـّبناتِ [1]
لَبِنَهْ
لَبِنَهْ
وهجرنا دنيا الكلماتِ
تلك الجوفاء بلا مَعْنى
وجمعنا الكلمات الحُبْلى
لتقيم هنالك « يوتوبيا » [2]
حيث الإنسان أخو الانسان ... فروع غصون معتنقه
والدفء الانسانيّ الممتدّ ظلالاً خُضْراً مُخْضَلـّه
وفروع الزّيتون الشجراء قلوبٌ بالحبّ مُطِلـّهْ

---

١ — اللبنات : جمع لبنة ما يضرب من الطين للبناء .
٢ — يوتوبيا : كلمة اغريقية ومعناها « لا مكان » ، وتستعمل للدلالة على مدينـــة شعرية خيالية لا وجود لها إلا في أحلام الشعراء .

قصائد متفرقه

متمرد ...

دعْهُ ينامْ
دَعْه ينامْ .. متوسّداً قلب الظـّلامْ
أرْضِعه بالضّرع[1] المخدّر للعظامْ
جلجلْ لهُ الأجراس .. غررْهُ[2] .. ينامْ
بالأغنيات الجُوف هَدْهدْه .. ينام !!
وإذا تمرّد أنْ ينام
أجلبْ له كلّ الهـوام[3]
إنهشهُ حتى لا يعودَ إلى الطـّعام
أردمْ عليه بما استطعتَ من الرُّكام
لكنـّه أبداً تمرّدَ أن ينامْ
لانـّه بَلـَغَ الفطام !
مِن قبلُ كم من كاهنٍ صلـّى أمام
صلـّى ... وقال له السّلام
ولم يجدْ إلاّ السّهام !
هُوَ قد وعى ...
هُوَ قد رأى ...
هو لم يعد يُلهى به مثل الدُّمى !
هو لم ينمْ ..
هو قد تدثـّر بالأرَقْ !
هو لم يعد طفلًا ...
تـُغَرّره عرائسُ من وَرَقْ !

---

١ – الضرع : ثدي البقرة أو الشاه . ٢ – غرره : اخدعه وأطمعه بالباطل .
٣ – الهوام : الحشرات .

ولا تماثيلُ الطُّرُقْ !

كلاّ ..

ولن يخشى خفافيش الشّفقْ

هو لم تَعُدْ تنسيه أنغام الفرقْ ؟

هو قد تدرّب كيف يغفو ...

تحت طوفان العَرَقْ !

عَثَراتهُ صَهَرتهُ حتى لا يثِقْ !

هو لم ينمْ ..

لكنْ غفى ...

ليقوم قومته ، ليستلّ الحياة من العَدَمْ

... لكنْ متى ؟

هُوَ قَدْ عَلِمْ ! ..

محمد فضل السيد

مَريّـــه

يا مَريّهْ :

ليتَ لي إزميلَ « فِدياسَ » وروحاً عبقريّهْ

وأمامي تلّ مرمرْ

لنَحتُّ الفتنةَ الهوجـاء في نَفْس مقاييسك

تمثالاً مُكبَّرْ

وجعلت الشّعْرَ كالشّلاّل ، بعضٌ يلزم الكتفْ ،

وبعضٌ يتبعثْرْ

وعلى الأهداب ليلًا يتعثّرْ

وعلى الأجفان لَغْزاً لا يُفَسَّرْ

وعلى الخدّين نوراً يتكسَّرْ

وعلى الأسنان سُكّرْ
وفماً (كالأسد الجوعان) زَمجَرْ
يُرسل الهمس به لحناً مُعَطّرْ
وينادي : شفةٌ عطشى وأخرى تتحسّرْ
وعلى الصّدر نوافيرُ جحيم تتَفَجّرْ
وحزاماً ، كلّما قلت قصيرٌ هوَ ،
كان الخصر أصغرْ
يا مريّهْ :
ليت لي إزميل فِدياس وروحاً عبقريّهْ
كنت أبدعتك يا ربّة حسني بيديّهْ
يا مَريّهْ :
ليتني في قِمّةِ الأولمبِ جالسْ
وحواليّ « العرائس »
وأنا في ذروة الإلهام بين الملهماتْ
أحتسي خمرة باخوسَ النقيّهْ
فاذا ما سرَتِ النشوة فيّهْ
أتداعى وأنادي يا بناتْ :
نقّروا القيثار في رِفقٍ وهاتوا الأغنياتْ
لمريّـهْ
يا مريّهْ :
ما لعشرينين باتت في سعير تتقلّبْ
ترتدي ثوب عزوفٍ[1] وهي في الخفية ترغبْ
وبصدرينا بروميثيوسُ في الصّخرة مشدوداً يُعَذّبْ
فبجسمٍ ألفُ نارٍ ، وبجسم ألفُ عقربْ
أنت ، يا هيلينُ

---

١ – عزف عن الشيء : لم يرغب فيه .

يا من عَبرتْ تلقاءها بحر عروقي ألف مركبْ
يا عيوناً كالينابيع صفاءً ونداوهْ
وشفاهاً كالعناقيد امتلاءً وحلاوه
وخدوداً مثل أحلامي ضياءً وجمالا
وقواماً يتحدّى كبرياءً واختيالا
ودَماً ضجّت به كلّ الشرايين اشتهاءً يا صبيّه
تصطلي منه صباحاً ومساءً غجريّهْ
يا مَريّه أنا من افريقيهْ :
صحرائِها الكبرى وخطّ الاستواءْ
شحنتني بالحرارات الشُّموسْ
وشوتني كالقرابين على نار المجوسْ
لفحتني فأنا منها كعود الأبنَوس
وأنا منجم كبريتٍ سريع الاشتعالْ
يتلظّى كلّما اشتمّ على بعد : تعالْ
يا مريّهْ
أنا من افريقيا جوعان كالطّفل الصّغير
وأنا أهفو إلى تفاحة حمراءَ
من يلمسُها يصبحُ مذنبْ
فهلمّي ودَعي الآلهة الحمقاءَ تغضَبْ
وانبئيها :
أنّها لم تحترمْ رغبة نفس بشريّهْ
أيُّ فردوسٍ بغير الحبّ كالصحراء مُجْدِبْ
يا مريّهْ :
وغداً تنفخ في أشرعتي أنفاس فرقه

وأنا ازداد نأياً ،
مثل « يوليسَ »
وفي الأعماق حُرْقه
ربما لا نلتقي من بعد هذا
يا مريّهْ
فتعالي وقّعي إسمَكِ بالنّار هنا في شفتيَّهْ
ووداعاً يا مريّه !

صلاح ابراهيم

صورة دوريان جراي

أملٌ وانهارْ
مات ولم يترك تذكارْ
مات وها أنذا أسمع صوت مناحته في الدّار
مات وشيّعناه وصلّينا ، واستغفرنا ، وأنبنا[1] ، بعد بكاءٍ حارْ
وأتى من لا يعنيه الأمرُ ولم يحزن :
جاء ليشرب قهوتنا ، يغتاب النّاس ، وينتهك الأسرارْ
ويقهقه ضحكته كالنّصل[2] : « دع الموتى يبكون على الموتى
ما كان سوى أملٍ وانهارْ »
في الخارج كان يموتُ نهارْ
في الخارج أبواقٌ تعْوي ويثورُ غبُارْ
وأناسٌ مكدودون كأنهمو الأشباحُ يجرّون خطاهم نحو الأحجار
مجهولون بلا سيماء
مذهولون ومنكفئون من الإعياء

---

١ — أناب الى الله : تاب . ٢ — النصل : حديدة الرمح والسهم .

في المقهى المذياعُ يجلجل بالأنباء
الحربُ تدقّ على الأبواب
أدفن رأسك تحت تراب
بل ارفع رأسك ، واجهْها يا ابنَ الإنسان
سيّانَ تقول : الأمر لديك بلا أملٍ سيّان
في الغرفة كان الرُّعبُ وكان الحزنُ وكان العار
ودهاليزٌ في العَتمةِ أين تقودُ ؟ تعودُ إلى حيثُ بدأتَ
في العتمة أنتَ تفتّتَ ، وتكوّنتَ ،
في العتمة أنتَ رأيتَ ولم تصرخْ :
أملًا ينهار
في « الغرفة » كان الصّمتُ يوسوس بالأسرار
في جوف الصّمت تجول عصابات الأشرار
في لحظة ضعفٍ كان يجاوب أُنثاه الصّرصارُ
وعقارب تخرج غاضبة (هل كان الصيف أم الأخبار ؟)
في الغرفة كان هنالك ضبٌّ يلبدُ خلفَ الباب
وينام ذباب
وعلى مرآة بالدولاب
لمحتُ خيالَكَ ، وجهَكَ يصرخ فيه ألمْ
ونَدَمْ
وعذابْ

جحظت عيناك ونزّ الدّمْ
وتهرّأ لحمك حول الفمْ
وتدلّى الفكّ ،
فكانت جمجمةٌ تضحك
مزّقْ .. مزّق ، آثار سياط

حَفَرت أُخدودْ ١
يتوالد في جنبيـه الدُّودْ
مزّق .. مزّق ، لهَبٌ وحريقْ
الجرح عميق
في وجهك كان شقاءٌ ، كان عذابٌ ، كان صُراخْ
ما أبشع وجهَكَ قم حطّمه يا دوريانْ
قم حطّمه ، قمْ حطّمه ، لا ليس الآنْ
من « صكّ مفِستو » بَقِيَت سنتانْ
سنتان وتُقبض روحُك بالأسياخْ
تُكوى بالجمر وتُلقى في أعماق النّارْ
يكفي فالأرض تميدُ من الأوزار
انتفخت بين يديك الجثة فادفنها ،

ما كان سوى أملٍ وانهارْ

صلاح احمد ابراهيم

قبل فوات الوقت

من قسوة هذا العصر تخشّب قلبانا
شاهت كلمات الحبّ بشفتينا والأحلام
صار الضِّحْكُ جريمه ... !
(يا صوتاً يصرخ في أعماقٍ صخريّهْ
هَبْ لي من صَخَب الشلاّلات النهريّه
ثرثرةً فوق عذاب العُمرِ الزّائلْ)
يا إنساني فلنتعلّمْ

---

١ ــ الأخدود : الحفرة المستطيلة .

ولنبدأ من أوّلِ حرْف
ولنعرفْ كيف نعيش على عصر الخوفْ
ولنطرحْ جنباً دفءَ نهايات القصص الكبرى ، والأحلام
ولنطعمْ برد الثلج ، ورعشات الآلامْ
ولنعرفْ كيف نقاسي الارهاق ولَفحَ الصّيفْ
وكيف نجوع ونقضي – منفصلين – بليل الرُّعبْ
يا إنساني فلنتكلم فالوقتُ يفوت
لِمْ ترعِبُكَ الأيام إلى هذا الحدّ ؟
كم تبدو مقهوراً مغلول الرّدْ .. ؟
يا إنساني فلنتكلم فالصّمت مميتْ
لِمْ ترعبك الأيام إلى هذا الحدْ ؟
ما زلنا شُرَفاءً لم نبلغ حدّ القتلْ .
ولدينا وقتٌ فيه نُهَيِّئُ أنفسنا للموتْ
يا إنساني فلنعرف قبل فوات الوَقتْ .
(حالاً لن يبقى وقتٌ كافٍ للرقصْ)
أيّ مكانٍ نلقي فيه الشّصْ [1]
ولنلصق أعيننا فوقَ الجدران
في حرف أزرق يحضن حرفاً فوق جدارْ
(يا قوّاتِ الشّعب – الجند السوريّه – !
ما وحدكِ بل نحن جميعاً من أجل الحريّه ...)
يا حرفاً يلمع في ساحات الجندْ
يا حرفاً يصنع كلمات في ثِقل اليد

---

١ – الشصّ : السنّارة .

كلمات لم ننطقها بعد

يا إنساني فلنتكلّمْ فالأمر يجدْ

لِمْ ترعبُنا الأيام إلى هذا الحد .. ؟

يا إنساني فلنتكلم فالعمر قصيرْ

أن نحيا شجعاناً في عصر الخوف

أن ننفذ للأعماق كسيفْ

يا إنساني فلننظر في المرآه

(فلدينا وقت كاف قبل الموت)

ولنبصرْ قبلَ فوات الوقتْ

بسمات قصّت من أفواه

« روبسبير » و « لافاييت » و « ميرابو »

من فم الإنسان المحكومْ

بالموت عليه بمقْصَلةٍ في وهْرانْ [1]

في القرن العشرين بمقصلة في وهران

يا إنساني فلنتساند

ولنحفظ كلمات الجدران

ولنذكره بسمات المرآه

ولنتعلّمْ من قبل فوات الوقت

فلدينا وقتٌ كاف قبل الموت .

عبد العزيز صفوت

---

١ – وهران : مدينة في الجزائر .

الكلمات الرمليّة

كسّر الإخفاقُ المصباحا
وخبا في العين بريقُ الانسانِ
وسقطتُ إلى قاع الظّلمه
للقاع ، القـاع من القِمّة
وفقدتُ الرّغبةَ لم أنطقْ كِلمه
وصديقي ما زال يعبُّ ويشربْ
— « أتحب الـ ... » كلاّ لا أرغَـب
وفقدت الرّغبة لم أنطق كِلمه

• • •

ما زال المذياعُ يردّد أشياءَ قديمه
« يا قبّةَ ليل نفترشُ أديمَـه[1]
ونطيل الآهةَ بعد الآهةِ ترنيمه »
أشياءٌ — يا أختُ — قديمه
تنزلق على جدرانٍ سُفليّه
حتى الأعماقِ السفليّه
في الأسفلِ — يا روحي — وقعُ الكلمه
إنسانان ...
نطقا نَفسَ الكلماتِ الرّمليّه
وتشابكت الأيدي ، ثم افترقا وبدون وداعْ
عامين وها سكنت رعشاتُ الكفّين
وتفككتِ الأحرفُ لم تبقَ — كلماتٌ رمليه

• • •

---

١ — أديم الليل : سواده .

وحدي احتضنُ السأمَ وما ضاعا !
وحدي ـ أحتضنُ نداءاتِ الباعهْ
وحدي أنتظر ـ على يأسٍ ـ حتى الساعهْ

• • •

عودي .. عودي .. يَبسَ الأخضرْ
كسر الإخفاقُ المصباحا
وسقطتُ الى قاع الظلمهْ
للقاع ... القاع من القِمَّهْ
وفقدت الرغبة ـ لم أنطِقْ كِلمهْ .. !

عبد العزيز صفوت

السجينـة

يموت عند بابك الضياءْ
ويصبح الصَّباح في دياركم مساءْ
ورنّة العصفور في دياركم عويلْ
وأنت تقبعين [1] خلف ذلك الجدار
وظِلُّه طويلْ
يمتد فوق جسمك النّحيلْ
وأنت تسمعينْ
أباكِ كلَّ يومْ
يجترّ كِلمتين
يجترّ كِلمتينِ في الصَّباح والمساء
وأمّكِ العجوزْ
تظلّ تغزلُ الأوهام

١ ـ تقبعين : تستترين .

بمغزل الخرافة العتيقْ
تشيد من خيالها السّحيق
عوالماً رجالُها وحوشْ
وأنت والنساء كالظّباء في الفلاة
وتبذرُ الظّلام
والرّعبَ والأوهامْ
في قلبك الصغير
وفي المساء
ما زلتِ تحلمينْ
بمطلع النهارْ
وتبصرين خلف ذلك الجدار
جماعة العشّاق خلف ذلك الجدار
وتقرأين في عيونهم سطور
وتعرفين من يكنُّ في فؤاده الغرامْ
وتبسمينْ
وترسلينَ نظرةَ الحبيب للحبيبْ
وتنتهي حكاية الجدار

. . .

ويطلع النهارْ
لكنما أبوكِ عادَ للحديث
يجترّ كلمتينْ
تردّد الأوهام من خيالها السّحيقْ
وعدتِ بعد حلمك الطّويل
تحملقين في الجدارْ
يسدّ عن عيونك النّهارْ

مبارك حسن خليفه

فهرس

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف ببيروت سنة ١٩٥٩